الإعجاز

علمية - دينية - فصلية

العدد الحادي عشر - خريف ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

القرآن

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية

العدد الحادي عشر - خريف ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة-لبنان

جمعية علمية وفق القرار ٢٧٩/أ/٢٠٠٥ تعديل ٥٤/أ/٢٠٠٧

الفهرس

الإفتتاحية : الأخر	ا. صلاح سلام	٤
علمه البيان	رئيس التحرير	٥
العربية أمنا	محمد فرشوخ	٦
معجزة النطق اية ربانية	د. هارون يحيى	١٠
الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم	د. محمد محمد داود	١٧
الإعجاز الفني في القرآن الكريم	د. محمد مرعشلي	٢١
إعجاز القرآن اللفظي	الدكتور فاضل السامرائي	٢٥
وجوه من إعجاز القرآن الكريم	الدكتور محمود أحمد الزين	٢٩
الأعجاز القصصي في القرآن الكريم	محمد فرشوخ	٣٦
الرحمن علم القرآن-١١	باسم وحيد الدين علي	٣٨
أدب الطبيب في ظل الإسلام	الدكتور محمد نزار الدقر	٤٢
طبقة الأوزون .. ورجع السماء وزرقتها	ا. د. خالد حسين	٥٤

رئيس التحرير:ع.ر.م. محمد فرشوخ

العلاقات العامة:الدكتور نادر الغزال

الاشراف الفقهي واللغوي:القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس: د. نادر الغزال — نائب الرئيس والمدير المسؤول: ع.ر.م. محمد فرشوخ

أمين السر: النقيب د.غسان رعد — أمين الصندوق: الأستاذ باسم علي

المحاسب: الأستاذ زهير الجندي — مستشار: الأستاذ صلاح سلام

الاخراج والطباعة مطابع اللواء

يوزع هذا العدد مجانًا

صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء.

وبمؤازرة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة. بنك عودة رقم الحساب:

٠١ ٠٦٢ ٠٠٢ ٤٦١ ٠٧٤ ٨٧٨

TRULY YOURS®

If you are one of a kind your car shall be to. Let us tailor for you exceptional tuning that propels your car into a league of its own.

Equally powerful and noble in design, your car is truly unforgettable, captivating, unparalleled. With the wide range of possibilities and your personal touch you can make your car as individual and unique as you are. A car that is truly yours.

LSD Doors Exclusive Dealership.

FAKHOURY MOTORS

LUXURY THAT MOVES®

BEIRUT-LEBANON

FAKHOURY MOTORS BUILDING
VERDUN, BEIRUT LEBANON
TEL. +961 1 783333

DUBAI-UAE

ALMEER CAR COMPLEX
AL-QUOZ, DUBAI UAE
TEL. +971 50 5615000

BERLIN-GERMANY

TEL. +49 15330000014

E. INFO@FAKHOURYMOTORS.COM

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

الآخر...

في تجوالي وترحالي عبر البلاد العربية والاسلامية وغيرها من بلاد العالم صار من عاداتي أن أستغل أوقات الراحة والاستراحة لأتلمس شيئًا من وجدان الناس، فالمؤتمرات واللقاءات قد تعطي فكرة عن ولاة الأمور والمستشارين والفاعلين، لكن الاختلاط بالعامة يعطي فكرة أعمق عن مختلف طبقات الشعب، وغالبًا ما يكون فيها من العبر ما يغني ويفيد.

التقييم بينك وبين من تصادف متبادل وليس من طرف واحد. فسائق التاكسي يرمقك بين الفينة والفينة عبر مرآته العاكسة فيرى ما يشغلك ولربما عرف قدرك وشيئًا من ثقافتك ولربما معتقدك واهتماماتك من خلال رحلتك معه اذا كانت طويلة نوعًا ما.

وحمّال الحقائب ومعه عامل الفندق قد يستنتجان ما يكفي عنك لمجرد قضائك يومين او ثلاثة في الفندق، ولا تستغرب اذا تبادلا المعلومات عنك فيما بينهما.

ولا تستهن بماسح الأحذية فلعله ذو فراسة، تمكنه ما بين نظرة إلى حذائك ونظرات إلى قسمات وجهك، من ان يستخرج شيئاً من حقيقة شخصيتك فاذا بادلك الحديث عرف من لكنتك من أي بلد انت ولربما من أي طائفة!

مهما بلغت قدرة كلٍ منا على الكتمان والغبّ، فكلنا يتمتم وكلنا يتأفف وكلنا يعبّر بطريقة أو بأخرى.

للآخر وجهة نظر وظروف وأسلوب كما يكون لي ولكل واحد منا بصرف النظر عن مكانته وثقافته وسنه وغايته.

وبمقدار ما يطول المكث بينك وبين هذا الآخر تزداد المعرفة عمقاً والعلاقة اتساعًا.

الآخر ليس سائق التاكسي ولا عامل الفندق ولا ماسح الأحذية فقط الآخر الحقيقي هو زوجتك ووالدتك وابنتك. وغالبا ما يكون هؤلاء في صفك وبجانبك.

لكن الآخر القلق والمقلق هو ابن بلدك وشريكك في الوطن، هو الذي يحتاج إلى ان يفهمك وتفهمه ويتفهمك وتتفهمه. وكيف يكون العيش مشتركاً اذا لم تبدِّد هواجسه تجاهك ويُبدِّد هواجسك تجاهه.

كيف يمكن ان تتلاقيا اذا لم تلتقيا، وتتحابا اذا لم تتقاربا، وتشعرا بالحاجة اذا لم تتعاملا..

كيف تكون العلاقة سليمة اذا كان هذا الآخر يخضع للغريب ويستعين به على القريب. ويذعن للأجنبي ويقدم له الخضوع والطاعة استقواءً على مواطنه وأخيه في المدينة والبلدة والقرية.

يقول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون﴾ (الآية ١٨٨).

الآخر سيبقى الآخَر والأخر والأخير، إلى أن يحكم بينكما شرع الله وتسود بينكما اخلاق رسول الله، فيعرف الجار حق جاره، والأخ حق أخيه، ويسري منطق الخضوع لله والاستجابة لحق الوطن، واللين في جانب المواطن.

وطالما ساءت النظرة للآخر سيبقى الصراع على الماء والكهرباء والرغيف والبنزين، وسيتأخر موعدنا مع الرخاء إلى أمد بعيد..!

علّمه البيان

كما أن الحب هو لغة الارواح ينتقل من قلب إلى قلب فإن الكلمة هي لغة الافكار تنتقل من عقل إلى عقل. ولا قيمة للعلم إذا لم يتمكن صاحبه من نقله إلى غيره ولا يحمل العلمَ إلا هذه الكلمات الدقيقة الرصينة الهادفة القادرة على أن تجذب الانتباه وتطرب الأسماع وتؤثر في النفوس وتصنع العقول وتستقر في القلوب.

ليس لنا من الأمر شيء فهذه منّة الخالق تعالى وهديته إلى بني آدم، علم أباهم الأسماء كلها وفضلهم على كثير من خلقه. بات علينا بعد ذلك أن نحفظ هذه الأمانة الإرث وان نتناقلها من جيل إلى جيل.

ثم يأتِ علينا وقت لا يعير فيه الناس للغة انتباهًا ولا لآدابها إصغاءً ولا لعلومها اهتمامًا.

الرحمن الذي خلق الانسان هو الذي علّمه البيان والبيان هو اللغة والفصاحة والبلاغة فمن تنكر لها فإنما أدار ظهره لما علّمه الله وماذا بعد الحق إلا الضلال واذا كان لا يصغي لكلام الله فلن يبقى له الا ان يصغي لكلام عدو الله إبليس.

في هذا العدد من "الإعجاز" مدخل إلى إعجاز القرآن في اللغة والبيان ولا يمكن الولوج إليه دون أن يعرف القارئ نبذة عن لغة العرب ولغة القرآن ولغة أهل الجنة هذه اللغة المعجزة.

رئيس التحرير

العربية أمنا

محمد فرشوخ

مقدمة :

أوسع اللغات على الاطلاق فمفرداتها بالملايين، وهي أدق اللغات على الغالب فلكل حركة وحالة ووضع وميل وعمر وشكل وصف خاص دقيق يميزه عن غيره.

كلمات كثيرة مستقاة من الأصوات الصادرة عنها مثل دق الباب، ورخ المطر وسقسقة الماء وزقزقة الطير، وصليل السيوف ورنين الجرس والنسيم العليل والرعد والضجة والطبل والمزمار...

فإذا لم يفهم العجمي المعنى الدقيق للكلمة فلعله يستوحي من تجمع حروفها معنًى قريبًا لها.

انسياب حروفها في الكلمات وكلماتها في الجمل وجملها في السياق جعلوا في نثرها وقصيدها سلاسة تطرب الأذن وتؤثر في النفس وتسهل الحفظ.

لغة عجزت الأزمان الغابرة عن الذهاب بها وأعجزت الأمم الغازية أن تقضي عليها أو تستبدلها، استوعبت أحلى مفردات اللغات الأخرى، فطوعتها وتبنتها وصاغتها في أحسن الصور.

قال الثعالبي[1]: (العربية خير اللغات والألسنة، والاقبال على تفهمها من الديانة اذ هي اداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر المناقب، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الايمان لكفى بهما فضلاً يحسن أثره ويطيب في الدارين ثمره.)

يعطيك الصوت الصادر عن لفظ الكلمة فكرة عن السرعة والكثافة ففي كثافة المطر وسرعة هطوله تقرأ وتسمع: بخ ثم رخ ثم سخ ثم زخ المطر.

كل ما امتد انتهى بالمد: سماء وماء وهواء وعطاء ورخاء وفضاء...

وفي اللغة اسم لكل مرحلة: غرّة الشيء أوله، وكبد الشيء وسطه، وخاتمة الأمر آخره، وغُرب كل شيء حدّه وفرع الشيء اعلاه، وتباشير الشيء طلائعه، وتقاية الشيء أسواه ونقاية الشيء أفضله وأحسنه، وغور الشيء قعره.

تقارب في المبنى وتفاصيل في المعنى:

- البذر للقمح والشعير، والبزر للبقول والرياحين.
- اللفح من الحر والنفح من البرد.
- الدرج إلى فوق كالدرك إلى تحت. فالجنة درجات والنار دركات.
- الهالة للقمر والدارة للشمس.
- الغلط في الكلام كالغلت في الحساب.
- الضُعف في الجسم كالضَعف في العقل.
- الوهن في العظم كالوهي في الثوب والحبل.
- البصيرة في القلب كالبصر في العين.
- الوعورة في الجبل كالوعوثة في الرمال.
- العمى في العين كالعمه في الرأي.

أكثر اللغات صمودًا

لا يقال إلا إذا:

لا يقال للزجاجة كأس الا اذا كان فيها شراب، ولا للخوان مائدة الا اذا كان عليها طعام، ولا للكوب كوز إلا اذا كان له مقبض، ولا للأنبوبة قلم الا اذا كانت مبرية، ولا للفتخة خاتم الا اذا كان فيه فَصّ،

ولا للجلد فروة الا اذا كان عليه صوف، ولا للسرير أريكة الا اذا كان عليه جلال، ولا للقناة رمح الا اذا كان لها نصل.

ولا يقال نفق الا اذا كان له منفذ في آخره والا فهو سَرَب. ولا للصوف عهن الا اذا كان مصبوغًا، ولا للحم قديد الا اذا عولج بالتوابل. ولا للستر خدر الا اذا كان وراءه جارية.

ولا يقال للبكاء عويل الا اذا ارتفع معه الصوت، ولا للتراب ثرى الا اذا كان نديًا. والأرض المهيأة للزراعة قراح والأرض البور براح.

ويدعى الماء رُضاب ما دام في الفم فإذا فارقه صار بُزاق.

كثرة الأوصاف ليست تكرارًا:

ولئن اشتهر للسيف في اللغة العربية أكثر من ثلاثين اسمًا وكذلك عدة أسماء للأسد فهي ليست متشابهة اذ أن كل اسم من هذه الأسماء يصف نوعًا من أنواع السيوف أو حالة من حالات الأسود بحسب هيجانها أو بحسب سنّها.

لا بد من فرق بالمعنى بين المرادفات

ولا يقتصر الأمر على السيوف أو الأسود فإنما هي مثل ونموذج لكن الأمر يمتد إلى كل ما عني به العرب واهتموا به من حيوان ونبات وأصوات وحركات وأشكال وهيئات، وأعمار وصفات. من أنواع الأطعمة والأشربة، وأوصاف الحسن والقبح والتراب والطرق والجبال والروائح والرياح والسحاب والمياه والنار والقصر والطول والضخامة والدقة والشدة واللطف والضيق والسعة، والفقر والغنى، والعجز والقوة، والعيون والحواجب والانوف والآذان والشفاه والأسنان. وأحوال الغضب والسرور ومراحل المعارك والحروب والسير والسباق وضروب الأسلحة والدروع.

في أية لغة تجد للمعان تخصصًا؟

لألاء الشمس والقمر - لمعان الصبح - بصيص الدر والياقوت - وبيض المسك والعنبر - بريق السيف - تألق البرق - رفيف الثغر - أجيج النار.

في ترتيب جماعات الناس:

تجمعًا: نفر ورهط وثلّة وشرذمة ثم قبيل وعصبة وطائفة ثم ثبّة وثلّة ثم فوج وفرقة ثم حزب وزمرة ثم جُبلة وجيل.

وتفرقا: الشَعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الأسرة.

في ترتيب ساعات الليل والنهار أربعًا وعشرين:

ساعات النهار: الشروق ثم البكور ثم الغدوة ثم الضحى ثم الهاجرة ثم الظهيرة ثم الرواح ثم العصر ثم القصر ثم الأصيل ثم العشي ثم الغروب.

وساعات الليل: الشفق ثم الغسق ثم العتمة ثم السدمة ثم الجهمة ثم الفحمة ثم الزلة ثم الزلفة ثم البهرة ثم السحر ثم الفجر ثم الصبح والصباح.

في الضحك والبكاء:

اذا تهيأ المرء للبكاء قيل أجهش. عيناه ترقرقت ثم اغرورقت بالدموع ثم دمعت وسالت ثم همت فإذا رافقها صوت قيل نحيب ونشيج فإذا علا الصوت قيل عويل.

وكذلك التبسم ثم إهلاس (اخفاؤه) ثم افترار ثم الكتكتة ثم القهقهة ثم القرقرة ثم الكركرة ثم الاستغراب ثم الطخطخة ثم الزهزقة حين يفقد المرء السيطرة على نفسه.

في عيوب اللسان والكلام:

- الرُتة: في حبسة اللسان وعجلة في الكلام.
- اللكنة والحكلة: عقدة في اللسان وعجمة في الكلام.
- الهتهتة والهثهثة: التواء

أعطت اللغات الأخرى كثيرًا من المفردات فأغنت غيرها ولم تتحلل

اللسان عند الكلام.
- اللثغة: تحويل الراء إلى اللام. والسين إلى التاء.
- الفأفأة: ترداد الفاء.
- التمتمة: ترداد التاء.
- اللفف: ثقل اللسان وانتقاده.
- اللَيغ: عدم وضوح الكلام.
- اللجلجة: ادخال بعض الكلام في بعض.
- الخنخنة: الكلام من الأنف.
- المقمقة: الكلام من أقصى الحلق.

استوردت مفردات كثيرة واستوعبتها

حذار التسرع في التفسير لئلا يعطي المعنى عكس المقصود:

اذا قيل فلان يتحنث أي أنه يتعبد ليخرج من الحنث وهو الإثم والخطيئة.

وان قيل فلان يتنجس فهو يتطهر ليخرج من النجاسة.

وان قيل يتحرج فهو يسعى للخروج من الحَرَج.

واذا قيل يتهجد فهو يصلي من الليل عندما يهجد الناس للنوم.

وان قيل امرأة قذور فهي التي تتجنب القاذورات.

لغة أعطت اللغات الأخرى كثيرًا من المفردات فأغنت غيرها ولم تتحلل واستوعبت مفردات مستحسنة من لغات أخرى فادخلتها واستعملتها من دون أن يتغير في قواعدها وأصولها شيء. ولربما صارت تلك المفردات منسية في اللغة الأم بينما حفظتها اللغة العربية وأبقت عليها وأحسنت استخدامها.

لغة تفردت بتعابير عزّ وجود مثيلات لها في غيرها؛ كالزكاة والنفاق والفسق والاقامة والتيمم والظهار والايلاء والقبلة والمحراب الخ...

لغة حفظ أهلها القرآن فحفظهم وحفظها، يستحيل القضاء عليها لأن الخالق الجبار تعهدها بالحفظ والصون، لقوله تعالى: ﴿*انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون*﴾ وقوله أيضًا: ﴿*إن علينا جمعه وقرآنه*﴾.

لئن أجمع العلماء على أن القرآن معجزة الاسلام، فإن معجزة أخرى مستترة هي هذه اللغة الصامدة المعبرة الكافية الوافية فقد حق لها أن تصمد ووجب عليها أن تصمد حتى النهاية ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لغة أهل الجنة؟

(١) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسرّ العربية. تحقيق امين شسيب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

هل تعلم؟ من سعة اللغة العربية لكل مائدة إسمها الخاص

حين توجه الدعوة إلى طعام في أي بلد من العالم ولئن كتبت الدعوة بأية لغة من اللغات ترى الأساليب المتبعة في الدعوة متشابهة وإلى حد كبير وتتضمن شرحًا مسهبًا أحيانًا لتحديد أسباب الدعوة ومبرراتها. إلا في اللغة العربية فان سبب الدعوة يعرف من اسم المائدة ولا حاجة للتفصيل: فطعام العرس يدعى « الوليمة »، وطعام التعزية يسمى «الوضيمة» (من الضيم وهو الأسى)، وطعام المولود «العقيقة» (من عق عن النار وهو الفداء) وطعام البناء او المسكن الجديد يدعى «الوكيرة» (من الوكر حيث يأوي) وطعام عيد الأضحى يدعى «الأضحية» والطعام السنوي للعشيرة أو العائلة الكبيرة يدعى «العتيرة» (من العترة)، ويدعى أيضًا «الرجبية» لأن العادة جرت أن يقدم في شهر رجب، وطعام الترحيب بالقادم من السفر يدعى «النقيعة» (لاجتماع الشمل).

ولئن أطلق العوام على الدعوة اسم « العزيمة » فلأنها تعني الاصرار على الدعوة والعزم على المدعو بالتلبية والحضور ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا دُعِيَ احدكم الى الوليمة فليأتها».

تعاريف في اللغة والأدب

القاضي أسامة منيمنة

اللغة: مجموعة من الألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

علوم اللغة: علم الأدب وعلم النحو وعلم الصرف وعلم البلاغة، ويدخل في كل علم أبواب عدة.

علم الأدب: جمع الجيد من كلام العرب المنظوم والمنثور، **وثمرته هي** القدرة على التكلم بكلام عربي صحيح فصيح بليغ.

الفصاحة خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي.

فالكلمات: «هُعْخُع» و«افْرَنْقَع» و«الأَجْلَل» غير فصيحة، الأولى بسبب تنافر حروفها، والثانية بسبب غرابتها، والثالثة بسبب مخالفتها القياس اللغوي، لأن القياس: «الأَجَلّ».

علم النحو: علم قوانين التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما.

فالإعراب: اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً. من الرفع إلى النصب إلى الجر، بحسب العوامل التي دخلت على هذه الكلمة.

أما البناء فهو ملازمة آخر الكلمة لحال واحدة دون أن تتأثر بالعوامل، ككلمة «سيبويه».

وعلم الصرف: كيفية جمع المفرد وتثنيته ونسبته وتذكيره وتأنيثه وما أشبه ذلك.

والبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وتشمل البلاغة علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

فعلم المعاني «علمٌ يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال». كأحوال التقديم والتأخير، والوصل والفصل، والطلب والإنشاء وما سوى ذلك.

وعلم البيان: «علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه». فعندما أريد وصف قوة «زيد»، يمكنني أن أقول: «زيد قوي كالأسد» أو «زيد كالأسد في القوة» أو «زيد كالأسد» أو «زيد أسد». ويدخل في هذا العلم: التشبيه والاستعارة والإيجاز والكناية.

أما علم البديع فيختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية و المعنوية.

فالمحسنات المعنوية هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى، وهي كثيرة، منها:

- **الطباق** : هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، مثل قوله تعالى ﴿*وتحسبهم أيقاظا وهم رقود*﴾.
- **المقابلة** : هي أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، مثل قوله تعالى : ﴿*فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا*﴾.
- ومنها أيضا التورية وحسن التعليل والمشاكلة وغيرها .

أما المحسنات اللفظية فهي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ، ومنها:

- **الجناس** : هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، كقوله الله تعالى ﴿*ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة*﴾.
- **السجع:** هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا».

معجزة النطق آية ربانية

د. هارون يحيى*

قال الله تعال في كتابه العزيز:

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[1].

النطق معجزة

النطق هبة من الله:

يبدأ الإنسان بالتكلم عندما يصل إلى عمر معين.

وهذه الحادثة تتراءى لنا وكأنها شيءٌ طبيعي لأنها تبدأ عند الجميع في عمر متقارب. ولهذا السبب ربما يظن بعض الناس أن المحادثة أو الكلام أمر عادي، والحقيقة أن التحدث معجزة خارقة ذلك لأن الطفل لم يكن يعرف أي شيء عن الكلام قبل أن يبدأ بالتكلم.

يقول عالم اللسانيات البروفيسور steven pinker والمعروف بأبحاثه المتخصصة في هذا المجال: «إننا لا نفكر بالنطق ونعتبره أمراً عادياً، وننسى بسهولة أنه معجزة وهدية عجيبة لنا»[2].

النطق سرٌ كبير

بكل تأكيد عندما يتحدث الطفل فجأة بدون أن يعرف أي شيء عن الكلام وأسراره... هذه هي المعجزة(...).

هناك أسئلة كثيرة بقيت دون جواب حول اللسان واللغة...

كيف يتحدث الطفل وهو في الثالثة من عمره؟

وهل يتعلم ذلك من خلال ما يسمعه من بيئته؟

ومن الذي يلقنه قواعد اللغة وقواعد اللسان التي عجز العلماء عن وضع أصولها وقواعدها على أكمل وجه حتى الآن؟

وكيف تسيل الكلمات من فمه بشكل انسيابي لائق موافقاً قواعد اللغة المعقدة؟

ثم كيف تنجح الكلمات والجمل لتشكيل

الأصول اللغوية وإعطاء الشرح والمعنى؟

ولماذا تشكلت أكثر من ستة آلاف لغة متفرقة؟

ولماذا كان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي ينطق وبقية الأحياء لا تستطيع الكلام؟

ماذا يحصل في أذهاننا حتى تتحول الأفكار إلى كلمات وجمل؟

والجملة التي تصدر عن الإنسان لم تعرف بعد حقيقتها لما فيها من العمليات الدقيقة والمعقدة.

ومن الواضح أن النطق لا يؤخذ من خلال التعلم أو التعليم، لأنه لا أحد يعلمنا أسس آلاف الجمل والكلمات التي نعرفها؛ وبالأصل تعليمها غير ممكن.

فمثلاً: عندما يتحدث المرء يؤلف جملاً نظامية مع أن المتحدث لا يعرف شيئاً عن الأساسيات المعقدة الموجودة في الكلمات والجمل التي ينظمها ويستطيع أن ينطق بسهولة ويُسر منظماً جملاً ربما لأول مرة تخرج من فمه. كل هذا بعفوية بالغة ودون أن يشعر بها. هذا العلم اللساني المعقد لم يستطع علماء اللسانيات المشهورون أن يُعرّفوه تماماً.

إن النطق هو عملية معقدة، يتحدث عالم اللغة المعروف «Philip Lieberman» عن هذه القواعد التي لا حصر لها:

«مع نتائج الأبحاث الهائلة وتوسعها، تقترب عدد القواعد والأصول التي نحسبها موجودة من عدد الجمل. وتأتينا القواعد

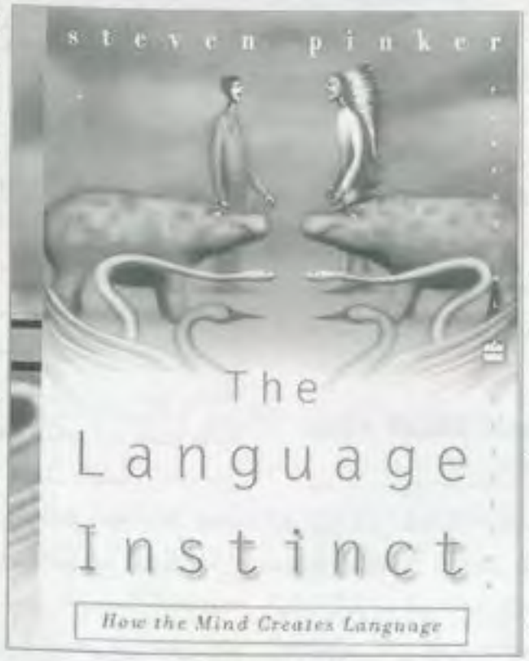

غلاف كتاب اللغة غريزة

انطلاق أول كلمة للطفل معجزة كبيرة

اللغوية بشكل مفجع وتنتهي بفشل ذريع. ولم يستطع أحد حتى الآن أن يضع قواعد كاملة وشاملة عن لغة من اللغات[3]. يرى ليبرمان أن قواعد النطق بالجمل تتساوى مع عدد الجمل فكيف مع هذا العدد الهائل للقواعد تسنى للطفل ابن الثلاثة سنوات أن يتكلم؟

يبدأ الإنسان حياته الاجتماعية بتعلمه قواعد اللغة واللسان. والشيء الأكثر وضوحاً هو أننا لم نأخذ علم النطق من آبائنا ولا من غيرهما. هذه الحقيقة يعرضها لنا البرفيسور المدرس في جامعة« MiT» الأستاذ «ste-ven pinker» قائلاً: «كيف يستطيع طفل صغير أن يأخذ اللغة وعلم اللغة- والذي هو علم لا ينتهي- من الأحاديث القليلة والمقننة التي تجري حوله». والطفل حقاً لا يأخذ مهارة الكلام من أبويه، وفي الوقت نفسه لا يقوم الأبوان بتصحيح أخطاء الطفل دائماً. ولا يحذرانه بحصول الخطأ في حديثه أو كلامه. وجمل الأطفال الصغار غالباً لا تتناسب مع قواعد اللغة وإذا كان الحال هكذا فيجب على الأبوين توبيخ ولدهما طوال النهار[4].

إننا نستعمل قواعد علم اللغة ونستخدمها دون أي جهد منا لأننا نجدها جاهزة أمامنا. وإذا وضعنا أمام أعيننا بعض الحسابات المعقدة فإن قواعد الكلام تضع الإنسان في حيرة من أمره.

لهذا السبب بقيت مهارة النطق عند الإنسان سراً رياضياً بحتاً بكل ما في الكلمة من معنى - هذا السر المجهول يوضحه لنا «Noam Chomsky»

فيقول:

«أني لا أملك إلا معلومات قليلة حول علم الكلام عدا بعض الجوانب الظاهرة من الخارج، فالتكلم هو سر كبير بكل المقاييس»[٥].

عندما يبدأ كل شخص بالتكلم بكل راحة، وعندما يعرف أنه يستخدم لسانه على أكمل وجه، عندما يضع كل ذلك نصب عينيه يعرف أنه يقوم بذلك دون أي معرفة أو قصد منه.

إذا كنا لا نستطيع أن نضبط الكلمات الخارجة من أفواهنا. **فيجب أن يكون ثمة قوة خفية تلهمنا وتعطينا العلم والمعرفة كي نؤلف جملاً من كلمات. هذه القدرة هي قدرة الخالق العظيم وهو صاحب العزة والعلم والمالك لكل شيء.**

إن الله يلهم الإنسان ويجعله يتكلم. ولا يستطيع إنسان ما أن يفتح فاه ولو بكلمة واحدة بغير إذن الله. **إن مهارة التكلم هبةٌ من الله للإنسان** قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿[١]*الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ* [٢]*خَلَقَ الْإِنسَانَ* [٣]*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ* [٤]﴾ (سورة الرحمن: ١-٤).

تعدد اللغات آية من آيات الله:

كيف لا تختلط اللغات التي نعرفها ببعضها البعض؟

من المعروف أن الذين يتحدثون بلغتين لا يخلطون بينهما. و قد تمت أبحاث عدة لمعرفة السبب في عدم اختلاط الكلمات لمن يتقن عدة لغات عند النطق بإحداها. فقد أجرى أحد علماء الدماغ هو توماس مونتي «Thomas Munte» بالتعاون مع رفاقه عددًا من التجارب وذلك لمعرفة التغيرات الكهربائية الحاصلة في بعض نقاط الدماغ عند النطق وذلك من خلال مراقبة تكتيك رنين المهام المغناطيسية. ولقد تمت التجربة على الذين يتحدثون الإسبانية مع لغة كاتالان وهي اللغة المستعملة في شمال شرق إسبانيا[٦]. فكانت نتائج التجارب أن **الدماغ يقوم بتخزين مفردات كل لغة من اللغات التي ينطقها الإنسان في قسم مستقل من أقسام الدماغ وذلك حتى لا تختلط ألفاظ اللغتين أثناء النطق.** (...)

وهذا يعني أننا عندما نتحدث بلغة ما، تبقى اللغة الأخرى مضغوطة لسبب غير معروف حتى الآن، وبالتالي تمنع الاختلاط والتمازج. وعندما يتحول المتحدث من لغة إلى أخرى فإنه يقوم بتغيير المصافي الموجودة في الدماغ والتي لا تعرف شيئاً عن الكلمات الجديدة الملفوظة.

ويقول دافيد غيرين David Green جاذباً انتباهنا إلى هذه المعجزة[٧]:

«السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: كيف يتم ضبط كل ذلك ؟».

كيف يمكن لعقل الطفل ان يستوعب التعابير

إن الجواب بدون أدنى شك يتم بشكل مبرمج مسبقاً من قبل الله تعالى الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿*لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ*﴾ [٨].

(...) إن هذا النظام يضع أمامنا قدرة الله الذي خلقنا في أحسن صورة ودون نقص. وأعطانا هذه النعمة، نعمة الجسد والروح وكل ما فيهما ومن ذلك نعمة البيان.

إن الله تعالى يبين لنا في كتابه أن تعدد اللغات التي يتكلم بها الإنسان هي من الأدلة التي تدل على وجود الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿*وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ*﴾ [٩].

نظام التكلم المعجز:

عندما يريد الإنسان أن يتكلم تصل سلسلة من الأوامر إلى الحبال الصوتية واللسان ومن هناك إلى عضلات الفكين آتية من الدماغ. إن المنطقة التي تحوي أنظمة الكلام في الدماغ ترسل الأوامر الضرورية لكل العضلات التي تقوم بواجباتها أثناء الكلام.

تقوم الرئتان قبل كل شيء بجلب الهواء الساخن وهو

المادة الخاصة للنطق. يدخل الهواء عن طريق الأنف، ومن ثَمَّ إلى الفراغات الموجودة فيه ومن الحنجرة إلى قناة التنفس ثم إلى الأوعية القصبية ثم إلى الرئتين ويمتزج الأوكسجين الموجود في الهواء مع الدم الموجود في الرئتين وفي هذه الأثناء يطرح غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الخارج. ويمر الهواء الخارج من الرئتين بالحبال الصوتية التي تشبه الستائر، وتتحرك بحسب تأثير عُضروف صغير مربوط بها.

تم تصوير الحبال الصوتية بكاميرات ذات سرعة فائقة. كل العمليات الواردة في الصورة تتم خلال عُشر الثانية. هذا التصميم المتقن للحبال الصوتية يجعلنا نتكلم. قبل النطق تكون الحبال الصوتية بوضعية مفتوحة، وعند الكلام تُجمع الحبال الصوتية في مكان واحد، وتهتز من جراء الهواء الخارج عند الزفير.

تُعطي بنية الأنف والفم كافة المواصفات الخاصة للصوت. وفي الوقت الذي تبدأ فيه الكلمات بالخروج من هذا القسم بسلاسة يأخذ اللسان وضعاً بين اقتراب من سقف الفم أو ابتعاد بمسافات محددة، وتتقلص الشفاه وتتوسع، وتتحرك في هذه العملية عضلات كثيرة بشكل سريع. وحتى يتحقق النطق عند كل واحد منا بشكل سليم يجب أن تكون هذه العملية كاملة دون أي نقص.

أفلا نلاحظ أن هذه العملية المعقدة والكاملة تتم بشكل ميسر وكامل وبدون نقص؟ إذن من الذي برمج دماغ الإنسان مسبقاً للقيام بهذه العملية سوى الله تعالى الخالق البارئ المصور.

أليس حرياً بنا نحن البشر أن نشكر هذا المنعم الذي تفضل علينا بهذه النعمة قال تعالى: ﴿*وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ*﴾ [١٠].

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع
www.harunyahya.com

[١] – سورة الرحمن:١-٤.
[٢] – Pinker Words and Rules. Basic Books. 1999. s. 1
[٣] – Eve spoke: Human Language and Human Evolution. P. Lieberman. w. w. norton & company. 1998. s. 126-128.
[٤] – S. Pinker Words and Rules. Basic Books. 1999. s. 1
[٥] – Noam Chomsky. Powers and Prospects. s.16
[٦] – مجلة Nature ،28 شباط ٢٠٠٢.
[٧] – وغرين أستاذ جامعي يعمل في جامعة لندن ومعروف بأبحاثه اللسانية.
[٨] – التين:٤.
[٩] – الروم:٢٢.
[١٠] – ابراهيم:٧.

المراجع العلمية التي يمكن الرجوع إليها:
http://en.wikipedia.org/wiki/The_Language_Instinct

« الإعجاز »
دينية علمية غير سياسية.
تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة وعدد النسخ المطلوبة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف.

العربية أقدم اللغات وأكثرها صمودًا

الأستاذ إبراهيم فرشوخ*

مع تنوع العلوم وتوسع الاختصاصات، رأى النور علم جديدٌ يدعى العلم الكوني للغات The Universal Science of Linguistics منذ حوالي ٣٠ سنة وتم الاعلان عنه رسميًا في تشرين الثاني عام ٢٠٠٣ في جامعة لندن. ثم تبعتها بعض الجامعات الاميركية بالبحث والدراسة.

وقد وجد الدكتور سعيد ابراهيم الشربيني وهو أحد المتخصصين في هذا المجال، أن اللغة العربية تتمتع بخصائص مذهلة، لعلها السبب في ثباتها وصمودها عبر آلاف السنين، ولعلها تكون سببًا في بقائها واستمرارها إلى وقت طويل في حين يدقق العلماء في أسباب تساقط عدد كبير من اللغات الأخرى واندثارها.

تعريف هذا العلم:

علم اللغات الكوني علم يدرس جميع لغات العالم في آن واحد ويدرس أنظمتها النحوية (الأفعال – الأسماء – الضمائر – الصفات) كما يدرس العلاقة الوراثية (الجينية) بين اللغات لمعرفة مصدر كل لغة ومن أي لغة انحدرت.

أهمية هذا العلم:

لاحظ العلماء أن اللغات الألف المعروفة في العالم بدأت تندثر، وان ٤٠٠ لغة إلى الآن قد ماتت ولم يبق سوى ٦٠٤ لغات وأن اللغات قد توقفت عن الانجاب أي لم تظهر منذ وقت طويل أية لغة مستحدثة جديدة.

وفي الهند وحدها ماتت ٤٠ لغة في العام الماضي، ومعدل وفيات اللغات هو لغة واحدة في كل أسبوع أي بمعدل ٥٠ لغة في السنة الواحدة.

أسباب موت اللغات:

اللغة هي وسيلة التواصل بين البشر، والمادية هي سمة العصر، وحاجة الناس إلى الكلام المختصر تتسارع، ولا وقت لديهم لتصريف الأفعال والاعتناء بالألفاظ دونما فائدة تذكر، ففي اللغة الانجليزية ٢٢ طريقة للتعبير الزمني (ماضي – ماضي قريب – حاضر – مستقبل...).

وإذا فقدت اللغة أزمانها (الماضي والحاضر والمستقبل) وضمائرها تصبح «معوقة».

وآخر لغة ماتت هي اللغة النوبية في مصر. وقد سبقتها وفاة اللغة اللاتينية. ومعنى وفاة اللغة أن استعمالها قد انحسر لدرجة انها لم تعد متداولة بين الناس وانها أصبحت مقتصرة على العلماء والمتخصصين وبعض المتشددين الذين بوفاتهم يتوقف استعمال اللغة نهائيًا بين الناس.

واللغة المقبلة على الوفاة هي اللغة التي لا تمد حروفها ولا تنفس فيها أي لا تحتاج إلى طول الانفاس خلال اللفظ فإذا تسارعت الألفاظ تعتبر اللغة أنها تلهث وذلك قبيل الوفاة وذلك بعكس اللغة العربية التي تمد حروفها وتحتاج إلى أنفاس لاخراج بعض الألفاظ فيها.

ومن أسباب موت اللغات كذلك هو عجزها عن تفسير المعاني المطلوبة والمتوفرة في لغات أخرى، فضيق اللغة يعني عدم قدرتها على مجاراة الزمن ومتطلبات العصر.

بعض علامات الحياة والموت في اللغات:

حرف الراء في اللغة يعادل المادة الخضراء في الشجرة وهو علامة حياة اللغة ومتى فقد هذا الحرف أو عدّل أو خفف فمعنى ذلك أن اللغة قد فقدت الروح.

واما حرف الباء فهو الجذع الرئيسي لشجرة اللغات ولفظه الصحيح يعني صحة اللغة وسلامتها ومتى خفف لفظ هذا الحرف ليصير حروفًا أخرى فالمعنى أن اللغة دخلت مرحلة الشيخوخة.

أما «أل» التعريف في بداية عدد من اللغات فهو جذر هذه اللغات وهو علامة حياتها واستمرارها. وهذه الميزة نقلت اللغة العربية من أسفل قائمة اللغات إلى المرتبة الثانية لأن أل التعريف هي علامة عدم قابليتها للموت.

هل هناك لغة أم:

يرى البروفسور ديفيد كريستال وهو مقيم في ويلز في بريطانيا بحسب د. الشربيني، أن هناك لغة أم بدأت بها البشرية وهي لغة حيّة باقية ولا زالت متداولة بين الناس ولا بد من وجود أشخاص يجيدونها على الدوام وستبقى هذه اللغة وتستمر. لكنه ترك لمن سيأتي بعده تحديد أية لغة هي هذه اللغة الأم.

٤٠٪ من لغات العالم ماتت

العلاقة الجينية بين اللغات:

تجري المقارنة بين اللغات على مستويات عدة لمعرفة ما إذا كانت تنحدر من لغة أم واحدة. فهناك لغة أم وابنتها وربما حفيدتها.

وتجري المقارنة بين تشابه الألفاظ والمعاني، كما تجري مقارنة التأنيث والتذكير في الأفعال وفي ضمائر الجمع والمتكلم والغائب والمخاطب.

فنجد علاقة جينية بين اللاتينية والايطالية ونجد أنواعًا من الشبه في الصرف والنحو بين اللغتين العربية واليابانية. ولعل ما ثبت من أن الاسطول الحِمْيري كان يسيطر على بعض جزر اليابان في العصور القديمة ما يفسر مثل هذه العلاقة، والقول هنا للدكتور الشربيني.

وعلى سبيل المثال فإن شيئًا من الشبه يظهر بين كلمة girl الانكليزية وكلمة جارية بالعربية ومعناهما «فتاة».

وكذلك كلمة طبلية وكلمة table بالفرنسية والانكليزية.

أما كلمة talk فربما كان مردها إلى كلمة انطلق أي تكلم وحدك دون تبادل للحديث مع الغير.

النسيج الصوتي:

زيادة على المعاني في كل لغة تجري دراسة الألفاظ والأصوات الناجمة عنها، وعلى الرغم من حداثة هذه الدراسات فقد انتبه علماء الغرب إلى سلاسة ألفاظ القرآن وانسيابها وتجاورها في جمل موسيقية منسجمة ليس فيها ما يخدش الأسماع. وقلما تجد لغةً في العالم غير العربية يمكن تلحين جملها المنثورة بنغمات موسيقية بهذه الكثافة.

وهناك أحرف في بعض اللغات تشير إلى خلل في اللفظ مثل الحرف الفرنسي o ويسمى «الحرف الناسف» لأنه يوقف انسياب الجملة عند لفظه وينسف اللفظ الذي بعده.

وكذلك في اللغة الانكليزية بحيث يلغي هذا الحرف لفظ الحروف الآتية بعده مثل – court walk – talk الخ...

ومن الدلائل على موت بعض اللغات لأسباب صوتية هو تجاور بعض الحروف غير المنسجمة مع بعضها مثل حرفي القاف والجيم واللغة العربية ليس فيها كلمات يتجاور فيها مثل هذين الحرفين.

عدد المفردات في كل لغة = سعة اللغة:

- مفردات اللغة العربية تقارب ٤ ملايين لفظة.
- مفردات اللغة الصينية تقارب ٢٠٠ ألف لفظة.
- مفردات اللغة الانجليزية تقارب ١٥٠ ألف لفظة.
- مفردات اللغة الفرنسية أقل من ١٠٠ ألف لفظة.

ميزات اللغة العربية:

تتميز اللغة العربية بكثير من الخصائص فهي تحتوي

على أوسع المفردات وأكثر الأوصاف، وتراعي كافة الضمائر وتصرف الأفعال في كافة الأزمنة، كما تراعي التأنيث والتذكير، وتمتاز بالمثنى وهو ما بين الجمع والمفرد.

ومن أهم ما تتميز به اللغة العربية أنها بقيت محافظة على جميع قواعدها وخصائصها وغالبية مفرداتها رغم مرور الاف السنين عليها، بينما نجد أن الفرنسية والانكليزية مثلاً تعرضتا منذ العصور الوسطى لتعديلات واسعة حتى تمكنتا من مجاراة العصور المتأخرة، لجهة الألفاظ وتصريف الأفعال وتعديل بعض التعابير.

أسرار بعض ألفاظ العربية:

- الجهاز الكاشف

انجز العلماء جهازًا يدعى Machine Translation وهو عبارة عن الة صغيرة الحجم توضع امام الفم لتعطي على الشاشة عدد الأصوات التي تصدر عنه عند التلفظ بحرف أو كلمة ما.

أمكن لهذا الجهاز أن يعطي فكرة عن التأثير الصوتي والانفعالي لكل حرف أو كلمة.

- لفظ اسم الجلالة: الله

جاء هذا الجهاز بنتائج جيدة لعدد كبير من اللغات على حد قول الدكتور الشربيني، لكن المفاجأة كانت مع اللغة العربية إذ كيف تعطي «ال» التعريف ثلاثة أصوات على الشاشة وهذا طبيعي بينما تعطي كلمة «الله» صوتًا واحدًا! اذ عجز الجهاز عن احصاء عدد الأصوات التي تخرج من حرف «اللام» المشددة في لفظة اسم الجلالة، مما دعا العلماء إلى تسمية هذا الصوت بالصوت المهيمن The over whelming sound، ومن الغريب أن لفظ اللام المفخمة غير موجود في أية كلمة عربية باستثناء لفظ اسم الجلالة «الله و اللهم». ثم تأتي اللام مخففة في بقية الألفاظ التي تبدأ بالألف واللام...

اللغة العربية أوسع اللغات وأغناها

- لفظ كلمة رب

أعطى لفظ كلمة رب على الجهاز الأثر الصوتي الآلي لعبارات محددة مثل الباعث والخالق والمعطي والمنشئ والمكرم، وذلك عند لفظ حرف «الراء» من كلمة رب.

وأعطى صوت الباء من كلمة رب معنى أن ما قبلي هو أكبر شيء.

مما جعل المعنى الآلي المنبعث من حرفي الراء والباء مجتمعين أن رب تعني الخالق الأكبر والباعث الأكبر والمعطي الأكبر.

وفي الختام فإن الأبحاث لا زالت جارية حول اللغة الأكثر صمودًا بين لغات العالم ولم تتوقف بعد ولا زالت اللغة العربية تعطي أفضل النتائج بين سائر اللغات وبشائرها تتضح تباعًا، وتتميز اللغة بمفردات ليست في غيرها فالشكر والمدح معروفان في معظم اللغات لكن الحمد والتسبيح والتكبير مثلاً ليست موجودة إلا في قاموس اللغة العربية ويكفي أن جامعة لندن قررت تصنيف اللغة العربية بأنها واحدة من اللغات الأم وتم اعتمادها في تصانيف كثيرة على أنها لغة باقية وقابلة للعيش طويلاً. ومن المتوقع أن لا يبقى من لغات العالم سوى ١٥ لغة متداولة في العام ٢٠٣٠ ولا يصمد منها حتى العام ٢٠٩٠ إلا ٣ لغات والعربية واحدة من هذه اللغات الصامدة الثلاث.

ويكفي تفسير لفظة «عربية» من وحي القرآن لقوله تعالى: ﴿عربًا أترابًا﴾ وتعني شبابًا لكي نستلهم أن اللغة العربية التي صمدت ١٤٠٠ سنة حتى الآن هي لغة شابة لن تموت. انها لغة القرآن ولغة أهل الجنة، انها لغة الخلود.

اللغة العربية لغة شابة وستصمد طويلا

* رئيس مصلحة في وزارة الإتصالات.

الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم

د/ محمد محمد داود*

القرآن من الله تعالى والله تعالى حكيم وفعل الحكيم كله حكمة، فكل شيء عنده بقدر ومقدار، ووصف الله القرآن بقوله عز وجل ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود:١). ومن هنا نشطت الجهود لتتبع الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، للكشف عن أسرار هذا الكتاب المعجز، في نظمه ولفظه وصوته... المعجز في معانيه، المعجز في أثره. إلخ.

ولم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم، بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، لا يزال القرآن الكريم يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ (الكهف /١٠٩).

وكل باحث - حسبما يتيسر له من أدوات بحثه - يكشف بعون الله جانبًا من أسرار الكتاب ومع ذلك لا تنفد الأسرار: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا﴾ (الإسراء/٢٠).

بفضل القرآن حفظت اللغة العربية واستقرت

إن التأمل المتأني والأمانة والدقة التي يتطلبها المنهج العلمي تقتضي أن نضيف حرف التبعيض (من) إلى العنوان ليصبح «من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم» وذلك لأن البحث الصوتي له فروع ومستويات ولا يقتصر فقط على بحث الصوت اللغوي، فهناك البحوث الصوتية الفيزيائية، وغير ذلك.

وأيضاً يملي علينا العنوان أن نتوقف عند الظواهر الصوتية التي تلفت الانتباه في القرآن الكريم ويظهر فيها وجه من وجوه الإعجاز. وعليه فلن تكون المقالة حصراً شاملاً لكل الظواهر الصوتية في القرآن الكريم، وإنما يدور البحث حول عناصر ثلاثة هي:

١- أثر صوتيات القرآن الكريم في الاستقرار الصوتي للغة العربية.

٢- الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى.

٣- قضية التناسق الصوتي على مستوى اللفظ والصوت المفرد والتركيب في القرآن الكريم.

أولا: أثر صوتيات القرآن الكريم في الاستقرار الصوتي للغة العربية:

كان التلقي الشفاهي هو الأساس في نقل القرآن الكريم، بداية من سيدنا جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصولا إلى زماننا المعاصر، وهكذا إلى أن تقوم الساعة.

لهذه الخاصية (المشافهة) آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكن إلف العادة هو الذي يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحي الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها - يظهر أثر القرآن على الاستقرار الصوتي للغة العربية. ويمكن إجمال الأثر في العناصر التالية:

(١) حفظ اللغة العربية حية للمسلمين في بقاع الأرض كلها:

المتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها أو ضعفت بضعفهم، فأين اللغة الفينيقية الآن - لغة أهل لبنان قديماً - وأين اللغة المصرية، والأشورية ... الخ.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن جعلها محفوظة بحفظه، وباقية ببقائه، وسبحان الله القائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر/٩).

والذي يدقق النظر في العربية المعاصرة يجد الكثير من الألفاظ التي هجرت وظل بقاؤها حية على الألسنة قاصراً على الاستخدام الديني لها وهو الاستخدام المرتبط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

(٢) استقرار اللغة العربية:

رغم أن التطور سنة جارية في كل اللغات، وأكثر مظاهره يكون في الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية

(صوتية – صرفية – نحوية – دلالية)، وما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وبسبب منها.

والمحافظة على الأصل الدلالي للفظ على تطور الزمن له فائدة لا يستهان بها، فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر من الأهمية بمكان، ويزداد ادراك اهمية الاستقرار اللغوي الذي تتميز به العربية إذا ما تأملنا التعبير السريع الذي يلحق اللغة الإنكليزية (لغة الحضارة المعاصرة)، فنصوص الإنجليزية القديمة(التي مر عليها قرابة ثلاثة قرون) اصبحت عصية على الفهم بالنسبة للإنجليزية المعاصرة. ولعل هذا التغير السريع هو الذي دفع علماء هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمة عندهم، مثل نصوص شكسبير بإنجليزية حديثة يفهمها المعاصرون بدلا من الإنجليزية القديمة.

في حين أن العربي المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة، ويكفي النظر إلى هذه الآيات: ﴿*الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون*﴾ (البقرة/١-٣).

ومن الحديث النبوي الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه البخاري.

وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرناً لا يكاد الإنسان يجد صعوبة في فهم هذه النصوص، ولا تصادفه غرابة في الألفاظ، وما يصادفنا من ألفاظ صعبة فإن أبسط المعاجم يمكن أن يبدد هذه الصعوبة. وهكذا الشأن مع باقي المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية)، وهذه مزية عظيمة أن تكون الأمة موصولة بتراثها الزاخر تفيد منه وتنتفع به.

وتأمل مزية استقرار اللغة العربية، التي تفردت بها عن سائر اللغات التي تغيرت وتبدلت تغيراً وتبدلاً جعل من اللغة الواحدة لغات كثيرة متباينة، وهذا يؤدي بنا إلى التساؤل:

ما السبب في وجود هذه المزية؟ هل يمكن إرجاع هذه المزية إلى أن اللغة العربية، كانت لغة عالمية فيها كل ما تفتقر إليه الأمم في كل

أقصى القرآن الألفاظ الغريبة عن اللغة العربية

الأزمنة والأمكنة من ألفاظ ومعان وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها ما يفتقرون إليه، لذلك فهم يحرصون عليها ؟ وهذا بعيد.

فما كانت اللغة العربية ولا غيرها كذلك[1] أم أن مزية استقرار اللغة العربية ترجع إلى أهلها مكانتهم الإجتماعية والسياسة والعلمية؟ والواقع يكذب ذلك، فقد كان أهل العربية في موضع متأخر الشأن بجوار حضارتين عظيمتين هما الفرس والروم. وهكذا ينتهي بنا التأمل إلى أن الباحث لا يجد سببا مقنعاً لهذه المزية سوى أنها أثر القرآن الكريم.

(٣) تهذيب اللغة العربية:

(أ) فقد نحى القرآن الكريم عن اللغة التقعير في الكلام والغريب والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع، وأن من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلي يرى كثيراً من الكلمات الحوشية، ومن ذلك: «جحيش»، و«مسشزرات»، و«جحلنجح»، و«البخصات»، و«الملطاط»، وغير ذلك كثير (...).

(ب) نحى القرآن الكريم أيضاً كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن معان لا يقرها الإسلام ومن ذلك:

١- «المرباع»: وهو ربع الغنيمة إلى الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

٢- «النشيطة»: وهي ما اصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

٣- «المكس»: وهو دراهم كانت تؤخذ بائعي السلع في الأسواق الجاهلية.

٤- قولهم للملوك: «أبيت اللعن».

ومثل ذلك كثيراً يرجع إليه في بطون كتب التراث.

(٤) سعة انتشار اللغة العربية:

بنزول القرآن ودخول الناس في دين الإسلام أفواجاً من شتى بقاع الأرض، اتجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية، رغبة في أداء العبادات والشعائر الدينية بها، وقراءة القرآن بالعربية، لأن قراءة القرآن الكريم تعبد لله تعالى.. وبالتالي انتشرت اللغة العربية انتشارا ما كان يتحقق لها بدون القرآن الكريم.

ثانياً: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى:

أود هنا – بدايةً – توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف من

صالحي هذه الأمة، حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية (رؤوس الآيات)، تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها : رأس، أي مستوى من الارتفاع والارتقاء، لا ينتهي ولا يهبط أبداً، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قمم يرقى القارئ إليها، وكلما مضى في القراءة ازداد رقيا، فهو صاعد أبداً، حيث يقال لقارئ القرآن : (اقرأ وارق، فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها) .

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية، أي كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والملاحظ في رؤوس الآيات التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الأذان إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) وهما من حس اللسان وحسن الأذن. وإذا ما أحببت محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمي، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التي تكوّن هذه الفواصل، بهذا التناسق الصوتي المبدع، فإننا نلاحظ التالي :

كثرة ورود الحركات، وبخاصة الطويلة [حروف المد: الألف والواو، والياء]، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، يضاف إلى هذا كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون – الميم – الراء – الواو – الياء)، وهي قريبة – من الناحية الفيزيائية – إلى طبيعة الحركات، التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح. يدعم هذا ظواهر صوتية خاصة بالقرآن: المد والغنّة. وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

سؤال اعتراضي :هل هذا التناسب الصوتي هو من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد، ليكتسب النثر ضرباً من الموسيقى والنغم؟ وهل هو من قبيل القافية في الشعر؟

والجواب: لا هذا ولا ذاك، فالفاصلة في القرآن ليست على وتيرة واحدة، كما هو الحال في كل من السجع والتقفية، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك، حيث تجري في عدد من آيات القرآن على نمط، ثم يتحول عنه إلى

انتشرت العربية في بقاع الأرض بفضل الإسلام

نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد.

يقول الله تعالى: ﴿*ق والقرآن المجيد* [١] *بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب* [٢] *أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد* [٣] *قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ* [٤] *بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج* [٥] *أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج*﴾ (ق/١-٦).

والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز.

الأمثلة: ﴿*إياك نعبد وإياك نستعين*﴾(الفاتحة/٥)، فإن قلت: لم قدم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون أصحاب الحس المرهف، وعلى رأسهم الزمخشري، حيث قال : (هو من تقديم العلة على المعلول).

وقال ابو السعود: (هو من باب تقديم الشرف).

وقوله تعالى: ﴿*وإن لنا للآخرة والأولى*﴾ (الليل /١٣)، لماذا قدم الآخرة على الأولى؟ والجواب أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها، فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة، في مقابل الثواب الذي ينتظر من أحسن وتصدق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتي وتناسب الإيقاع في الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال في غير هذا النظام القراني المعجز.

ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد، فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

أيضاً الترتيب في تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم – مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿*يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور*﴾ (سبأ/٢)، وقال تعالى: ﴿*وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم إن الله غفور رحيم*﴾(الحجرات/١٤).

فقدم الرحمة في آية سبأ، لأنها منشأ

لم يأت التناسق الصوتي على حساب المعنى

المغفرة: أما الغفور فتقدم في كل موضع في القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم.

ثالثاً: التناسق الصوتي على مستوى اللفظ والصوت والمفرد والتركيب في القرآن الكريم:

أول ما يلفت الانتباه هو إن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني: أن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة.

(١) التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:

من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردي الجماعي، أو المبالغة في التثاقل، أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى:﴿*حتى إذا اداركوا فيها جميعا*﴾ (الأعراف: ٣٨).

اصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جئ بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة، ويشبه هذا إيحاء

التكرار في قوله تعالى: ﴿*فكبكبوا فيها هم والغاوون*﴾ (الشعراء/٩٤).

ومن هذا ايضاً قوله تعالى: ﴿*يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض*﴾ (التوبة/٣٨).

أيضا ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث او الصفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿*وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل*﴾ (فاطر/٣٧).

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في الفعل. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿*تلك إذا قسمة ضيزى*﴾ (النجم/٢٢) و(ضيزى) تعني: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء - بماء في الضاد من تفخيم - إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه

تناسب الألفاظ وأصواتها مع معاني الكلمات

قوله تعالى: ﴿*او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق*﴾ (البقرة/١٩). والصيب: النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لما أنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

(٢) التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة:

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى: ﴿*عينا فيها تسمى سلسبيلا*﴾ (الإنسان/١٨). حيث يوحي لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل/سلاسة) من شركة في بعض الحروف. هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله تعالى: ﴿*إلا حميما وغساقا*﴾ (النبا/٢٥) حيث أن مادة (غسق) في القرآن الكريم منها الغسق، والغاسق والغساق - توحي أن القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شئ كريه لا يشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويا من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله في التفسير قوله تعالى: ﴿*كلا إن كتاب الفجار لفي سجين*﴾ (المطففين/٧)، وقوله تعالى: ﴿*ليس لهم طعام إلا من ضريع*﴾ (الغاشية /٦)، والضريع نبات شوكي. وإيحاء لفظ (ضريع) في الطعام يفيد ذلا يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك. يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى: ﴿*كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين*﴾ (المطففين/١٨) . ﴿*قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق*﴾ (يوسف/١٥) . هذا، وبالله التوفيق.

---

* استاذ الدراسات اللغوية والإسلامية بكلية التربية جامعة قناة السويس وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.55a.net

[1] حسن الباقوري: اثر القرآن في اللغة العربية ص ١٦.

الإعجاز الفني في القرآن الكريم

د. محمد مرعشلي

القرآن الكريم ينبوع الرسالة، هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعجز العرب جميعًا بفصاحته، وبلاغته، وأثره في نفوس سامعيه، وتحدّاهم أنْ يأتوا بسُورَةٍ من مثله وهم فحول اللغة وأصحاب المعلّقات. قال تعالى ﴿*قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين*﴾[1].

وها هو الوليد بن المغيرة يصف موسيقى الجملة القرآنية أتمّ وَصْف بعد سماعه القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد رقّ له فيقول لأبي جهل:

« وماذا أقول، فوالله ما فيكم رَجُلٌ أعلم بالشِّعْر مني، ولا برَجَزِه، ولا بقَصيده مني، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا منْ هذا، ووالله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاهُ، مُغدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعْلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»[2]

ولما كان للقرآن الكريم سُلطانٌ في قهر قلوب سامعيه، قام لفيفٌ من الأدباء[3] بدراسة إعجازه الفني وتبيان أسبابه، وارتباط هذا الإعجاز باللغة العربية - لغة القرآن - كما قال تعالى ﴿*إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون*﴾[4]؛ وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل.

أولاً: الموسيقى في اللغة العربية:

يقول العقّاد في كتابه «اللغة الشاعرة»: «إنَّ اللغة العربية - الشاعرة - لغة فنّيّة موسيقية، وإنَّ عناصر الموسيقى الشاعريّة تَتَجَلّى فيها أكثر من غيرها من اللغات ويرجع ذلك إلى سَبَبَيْن:

١- الغناء.

٢- وبناء اللغة نفسها على الأوزان[5].

وأوجب العرب على متعلم الفصاحة في العربية أن تكون كل كلمة فيه جارية على القياس الصرفي.

وليس يَخْفَى أنَّ العَرَب تَحَدَّثُوا عن جَرْسِ الحَرْف أي: نَغَمته[6]، فَجَرْسُ الحروف: صوتها المنغم، ولذلك قيل، حروف الهَمْس، وحروف الصفير، وحروف التَّفْخِيم.

وجَرْسُ الكلمات: هو نغمتها وصوتها وإيقاعها الحاصل نتيجة التلاؤم بين حروفها.

وجَرْسُ العبارات: إيقاعها الصوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها[7].

لكل حرف جرس ولكل عبارة ايقاع

وأما الإيقاع فَهُوَ مِنْ إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقعَ الألحان ويُبَيِّنَها، وسمَّى الخليل رحمه الله كتابًا في ذلك المعنى «الإيقاع»[8] ورَتَّب كتابه «العين» على مخارج الحروف من أوتار الحلق بالسمع، فحرف العين أدخلها في الحلق[9]، وأما الموسيقى فهي لغة العواطف والوجدان، ولنغماتها دَرَجاتٌ مِنَ الشِّدَّة أو الضَّعْف، واللِّين أو القوَّة، والسرعة أو البطء ونحو ذلك.

وتؤثر الموسيقى في العواطف، لما في نغماتها وإيقاعها مِنْ جَمال، ولِمَا يَنْشَأ عن هذه النغمات من إحساس وأثَر في النفوس.

«وبين الأدَب والموسيقى قدرٌ كبيرٌ من الاشتراك، فكلاهما يستعمل مادة الأصوات الزَّمنيَّة، فالموسيقى تستعمل أصواتًا لا معنى لها - كمادة أوّلية - والأدب يستعمل أصواتًا مليئة بالمعاني، هي الألفاظ»[10].

مظاهر الموسيقى في اللغة العربية:

وتبدو موسيقية اللغة في:

١- اختلاف مخارج الحروف (واختلاف صفاتها).
٢- اختلاف الحركات لهذه الحروف وسكناتها.
٣- اختلاف الكلمات من حيث جَرْسها ونغماتها.
٤- اختلاف العبارات من حيث إيقاعها.

أ- الموسيقى في الحروف العربية:

«ولاختلاف المخارج والصفات في الحروف التي تتكوَّن منها الكلمات، تكون الكلمات تبعًا لذلك مختلفة في الوضوح والشِّدة والسُّرْعة، وفي رنينها، ونغماتها الموسيقية وغير ذلك.

فبعض الكلمات تبدو خافتة، وبعضها يظهر مُجْلجلاً، وبعضها خفيف التموّجات يجري كالماء، وبعضها تسمع له ما يُشبه الحفيف، أو الخرير، أو التدفُّق، وبعضها تلمح فيه الرَّخاوة واللين، وبعضها له رَنينٌ سابح، أو ابتر، وبعضها هواء يسمح بالتموّج الصوتي والطوعية الموسيقية كحروف المدّ»[١١].

ب- الموسيقى في حَرَكات وكلمات اللغة العربية:

فالحركات الثلاث: الضمَّة والفتحة والكسرة، وتتابعها في الكلمة أو الكلمات، أو الانتقال من حركة إلى أخرى كالانتقال من الكسرة إلى الضمَّة أو العكس، أو جَرَيان هذه الحركات دون أن يعترضها السكون أو تكرار السكون على فترات منتظمة أو مختلفة، كل ذلك له أثَرٌ في جَرْس الكلمات والعبارات وإيقاعها[١٢].

ألفاظ العربية تسمح بالتغني

ت- الموسيقى في العبارات العربية:

حين تتجمع الكلمات في الجمل وفي العبارات، تكتسبُ جَرْسًا موسيقيًا آخر، زيادة على ما كان عليها من موسيقى فَرْدِيَّة، وذلك مثل تشابه بعض الكلمات في الوَزْن وفي المكان من الجملة، أو تعاقب كلمتين متشابهتين في الوزن والرنين، أو في تجانس فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات وفي وزن كل منهما، أو في التجانُس في الكلمتين الأخيرتين في جملتين، أو في التشابه الذي يبرز في فترات متكافئة أو في التدرّج المتعادل، أو في التتابع المقرون بسرعة الجَرْس[١٣].

ثانيًا: الموسيقى في القرآن الكريم

ولأنَّ اللغة العربيّة لغة موسيقية شاعرة؛ ولأن القُرآن الكريم إعجازٌ بيانيٌّ كامل، ويتمثَّل في الأسلوب الفنّي المُعجز، فلا بُدَّ من أن يوجد فيه الإيقاع الموسيقي المعجز.

ولا ضَرر من نسبة الجَرْس والإيقاع أو الموسيقى إلى أسلوب القُرآن، وأن نلحظ وجودها فيه وأن نبينها للناس كافة، لأنَّ القُرآن الكريم يسير على سُنَن العربية وأساليبها في التعبير.

إن الموسيقى تكمن في أسلوب القرآن، وإن الإيقاع الموسيقي فيه يتألف من عدة عناصر:

١- من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.
٢- ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة.
٣- ومن اتجاهات المدّ في الكلمات.
٤- ثم من نهاية المدّ في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات.
٥- ومن حرف الفاصلة ذاته[١٤].

يقول سيد قطب في كتابه « التصوير الفني في القرآن»[١٥]: إن للقُرآن إيقاعًا موسيقيًا متعدد الأنواع، يتناسقُ مع الجوّ، ويُؤدي وظيفة أساسية في البيان.. جاء في القرآن الكريم:

﴿ *وما علَّمناهُ الشِّعر وما ينبغي له إنْ هو إلا ذِكْر وقُرآن مُبين* ﴾[١٦].

وجاء فيه حكاية عن كفّار العرب: ﴿ *بل افتراه بل هو شاعر* ﴾[١٧].

وصَدَقَ القُرآنُ الكريم، فليس هذا النَّسقُ شِعْرًا، ولكنَّ العَرَبَ كذلك لم يَكونوا مَجانينَ ولا جاهلين بخصائص الشِّعْر، يومَ قالوا عن هذا النَّسق العالي إنه شِعْر!

لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسَحَر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل، وتلك خصائص الشِّعْر الأساسيّة، إذا

نحن أغفلنا القافية والتفاعيل. على أن النَّسَق القُرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعًا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت نفسه من خصائص الشِّعْر الموسيقى الداخلية، والفواصل المُتقاربة في الوزن التي تُغْني عن التفاعيل، والتقفية التي تُغْني عن القوافي، وضمّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا، فشأن النثر والنظم جميعًا.

وحيثما تلا الإنسان القرآن، أحسَّ بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه، يبرز بروزًا واضحًا في السُّوَر القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامّة، ويتوارى قليلاً أو كثيرًا في السُّور الطِّوال ولكنه - على كل حال - ملحوظٌ دائمًا في بناء النظم القرآني.

المثال الأول - سورة النجم:

قال تعالى: ﴿ *والنَّجم إذا هوى* [١] *ما ضلَّ صاحبُكم وما غوى* [٢] *وما ينطق عن الهوى* [٣] *إنْ هو إلا وحيٌ يوحى* [٤] *علَّمه شديدُ القُوى* [٥] *ذو مِرَّة فاستوى* [٦] *وهو بالأُفق الأعلى* [٧] *ثُم دنا فتدلى* [٨] *فكان قاب قوسين أو أدنى* [٩] *فأوحى إلى عبده ما أوحى* [١٠] *ما كذب الفُؤاد ما رأى* [١١] *أفتُمارونه على ما يرى* [١٢] *ولقد رآه نزلة أخرى* [١٣] *عند سدرة المنتهى* [١٤] *عندها جنة المأوى* [١٥] *إذ يغشى السِّدرة ما يغشى* [١٦] *ما زاغ البصر وما طغى* [١٧] *لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى* [١٨] *أفرأيتُم اللاتَ والعُزّى* [١٩] *ومناة الثالثة الأخرى* [٢٠] *ألكُم الذكر وله الأنثى* [٢١] *تلك إذا قسمة ضيزى* [٢٢] ﴾[١٨].

هذه فواصل مُتساوية في الوَزْن تقريبًا - على نظام غير نظام الشعر العربي - مُتَّحدة في حرف التقفية تمامًا، ذات إيقاع موسيقيّ مُتَّحد تبعًا لهذا وذلك، وتبعًا لأمْر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية، لأنه ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحسّ الداخلي والإدراك الموسيقي، الذي يُفَرِّق بين إيقاع موسيقيّ وإيقاع، ولو اتحدَّت الفواصل والأوزان.

وقع الآيات يطرب الأذن ويهز القلب ويسهل الحفظ

والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزَّمَن تبعًا لتوسّط الجملة الموسيقية في الطول، مُتَّحدٌ تبعًا لتوحُّد الأسلوب الموسيقي، مُسْتَرْسِل الرويّ كجوّ الحديث الذي يشبه التسلسل القَصَصيّ.

وهذا كله ملحوظ، وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جَليًا مثل ﴿ *أفرأيتُم اللات والعُزّى* [١٩] *ومناة الثالثة الأخرى* [٢٠] ﴾.

فلو أنك قُلْتَ: أفرأيتم اللات والعُزّى * ومَنَاة الأُخرى، فالوزن يختلّ.

وكذلك في قوله: ﴿ *ألكُم الذكر وله الأنثى* [٢١] *تلك إذا قسمة ضيزى* [٢٢] ﴾.

فلو قُلْتَ: الكم الذكر وله الأُنْثى، تلك قسمة ضيزى، لاختلّ الإيقاع المستقيم بكلمة «إذن».

ولا يعني هذا أن كلمة [الأخرى] أو كلمة [الثالثة] أو كلمة [إذن] زائدة لمجرَّد القافية أو الوَزْن، فهي ضرورية في السِّياق لنكت معنوية خاصة، وتلك ميزة فنِّيَّة أخرى: أن تأتي اللفظة لتُؤَدِّي معنى في السياق، وتُؤَدِّي تناسبًا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو يخضع النَّظْمُ للضرورات.

مُلاحظة اتّزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في كل موضع على نحو ما ذكرنا أو قريبًا من هذه الدِّقة الكبرى، ودليل ذلك أن يُعْدَل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة، أو أن يُبْنَى النَّسق على نحو يَختلّ إذا قَدَّمت أو أخَّرت فيه، أو عَدَّلتَ في النظم أيّ تعديل.

المثال الثاني - من سورة الشعراء:

قال تعالى حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام:

﴿ *قال أفرأيتُم ما كنتُم تعبُدون* [٧٥] *أنتُم وآباؤكُم الأقدمون* ﴿٧٦﴾ *فإنَّهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين* ﴿٧٧﴾ *الذي*

خلقني فهو يهدين ﴿٧٨﴾ والذي هو يطعمني ويسقين ﴿٧٩﴾ وإذا مرضت فهو يشفين ﴿٨٠﴾ والذي يميتني ثم يحيين ﴿٨١﴾ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿٨٢﴾.[١]

فقد خُطفَتْ ياء المتكلم في [يهدين] و[يَسْقِين] و[يشفين] و[يُحْيِين] مُحافَظَةً على حرف القافية مع [تعبدون] و[الأقدمون] و[الدين].

المثال الثالث – من سورة القمر:

قال تعالى: *﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر [٦] خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر [٧] مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر [٨]﴾*.[٢]

فإذا أنت لم تخطف الياء في [الداع] أحسست ما يشبه الكَسْر في وزن الشعر.

المثال الرابع – من سورة الكهف:

ومثله قوله تعالى: *﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾*.[٣]

فلو مددت ياء □نبغيْ كما هو القياس، اختلّ الوزن نوعًا من الاختلال.

المثال الخامس – من سورة القارعة:

ومثل هذا يقع عند زيادة هاء السكت على ياء الكلمة أو ياء المتكلم في مثل قوله تعالى: *[وأما من خفت موازينه [٨] فأمه هاوية [٩] وما أدراك ما هيه [١٠] نار حامية [١١]﴾*.[٤]

الخلاصة:

وتدلّ هذه الأمثلة على أن الموسيقى بأوزانها وإيقاعها هي لحمة الجملة القرآنية وسداها.

لكلام القرآن حلاوة وللفظه طلاوة

وأن للسماع تأثيرًا قويًا على النفس البشرية يقهر بسلطانه القلوب في الدعوة إلى الله مما يُفسِّر قوله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود: «اقرأ عليَّ، قلتُ أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: فإني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت *﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾*[٢٢]، قال: أمْسِكْ، فإذا عيناه تذرفان»[٢٣].

لإيقاع الآيات آثارها النفسية

الهوامش:
(١) يونس ٣٨
(٢) رواه الحاكم في المستدرك.
(٣) وممن د. صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب»، وسيد قطب نفسه في كتابه «التصوير الفني في القرآن»، ومصطفى صادق الرافعي في «تاريخ اداب العرب»، ومحمد المبارك في كتابه «من منهل الأدب الخالد»، ود. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه «من روائع القرآن»، ود. صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن»، ود. شيخ بكري أمين في كتابه «التعبير الفني في القرآن».
(٤) يوسف ٢
(٥) عباس محمود العقاد «اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية» (١٣٧-١٣٨)
(٦) ابن منظور «لسان العرب» (٣٦/٦).
(٧) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي «نظرية التصوير الفني» (١٠٤-١٠٥)
(٨) عبد الحميد حسين «الأصول الفنية للأدب» الصفحات (٣٦-٣٧)
(٩) ابن منظور «لسان العرب» (١٣/١).
(١٠) د. عبد العزيز عتيق «النقد الأدبي» الصفحة (٥٤)
(١١) عبد الحميد حسن «الأصول الفنية للأدب» الصفحة (٣٧).
(١٢) المرجع نفسه (٣٩)
(١٣) المرجع نفسه (٤٠)
(١٤) سيد قطب «في ظلال القرآن» (٢٠٣٩/٤).
(١٥) سيد قطب «التصوير الفني في القرآن» الصفحة (٨٦-٩٦).
(١٦) يس ٦٩
(١٧) الأنبياء ٥
(١٨) النجم ١-٢٢.
(١٩) الشعراء ٧٥-٨٢.
(٢٠) القمر ٦-٨.
(٢١) الكهف ٦٤.
(٢٢) القارعة ٨-١١.
(٢٣) النساء ٤١.
(٢٤) متفق عليه.

إعجاز القرآن اللفظي

بقلم الدكتور فاضل السامرائي*

إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الاتجاهات، ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القراني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعة علمهم وإطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم، إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

واضرب مثلاً لتعدد نواحي الإعجاز.

فإني سمعت وقرأت لأشخاص مختصين بالتشريع والقانون يبيّنون إعجاز القرآن التشريعي، ويبينون **اختيارات الألفاظ التشريعية** في القرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما نبيّن نحن من اختيارات لغوية وفنية وجمالية.

وقرأت وسمعت لأشخاص متخصصين بعلم التشريح والطب في بيان شيء من أسرار **التعبير القرآني من الناحية الطبية التشريحية** ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة. فألفاظه مختارة في منتهى الدقة العلمية. من ذلك على سبيل المثال أن ما ذكره القرآن من مراحل تطور الجنين في الرحم هي التي انتهى إليها العلم مما لم يكن معروفاً قبل هذا العصر مما دعا علماء أجانب إلى أن يعلنوا إسلامهم.

وليس ذلك فقط، بل إن اختيار تعبير (العلقة) و (المضغة) – مثلاً – أعجب اختيار علمي.

فاختيار التعبير بـ (العلقة) اختيار له دلالته، فإن المخلوق في هذه المرحلة أشبه شيء بالعلقة وهي الطفيلية المعروفة. وكذلك التعبير بـ (المضغة)، فالمضغة كما قرأنا في كتب التفسير، هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ الماضغ. ولكن لاختيار كلمة (مضغة) سبب آخر، ذلك أن المضغة هي قطعة اللحم الممضوغة أي التي مضغتها الأسنان، وقد أثبت العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم التي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ (المضغة) اختيار علمي دقيق. إنه لم يقل «قطعة لحم صغيرة» ولو قال ذلك لكان صواباً ولكن قال: (مضغة).

وقرأت فيما توصل إليه علم التاريخ وما دلت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدق الكلام وأدق الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن فيما مضى من الزمان. وأن الذي اكتشفه المؤرخون والآثاريون وما توصلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمة كلمة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البتة.

وقرأت في اختيار التعبير القراني لبعض الكلمات التاريخية كـ (العزيز) في قصة يوسف، وكاختيار تعبير (الملك) في القصة نفسها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فـ (العزيز) أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القدامى كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيما إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل كانوا يسمونه (الملك)، والمصري الأصل يسمونه (فرعون)، وأن الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف غير مصري، وهو من الهكسوس

فسماه (الملك)، وان الذي كان يحكمها في زمن موسى هو مصري فسماه (فرعون)، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.

وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم.

بل إن هناك أموراً لم تُعرف إلا بعد صعود الإنسان في الفضاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليه القرآن إشارات في غاية العجب ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجوي للأرض، وجد نفسه في ظلام دامس وليل مستديم ولم تُر الشمس إلا كبقية النجوم التي نراها في الليل. فالنهار الذي نعرفه نحن، لا يتعدى حدود الغلاف الجوي فإن تجاوزناه كنا في ظلام لا يعقبه نهار. وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله: ﴿*وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ* [٣٧]﴾ (سورة يس) فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ من الذبيحة وأما الليل: فهو الأصل، وهو الكل، فشبّه الليل بالذبيحة.

وقال: ﴿*وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ* [١٤] *لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ* [١٥]﴾ (الحجر) أي لو مكّناهم من الصعود إلى السماء لانتهوا إلى ظلام وقالوا (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) وغير ذلك وغيره.

وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير فلا غرو أن أقول إذن: إن الإعجاز أكبر مما ينهض له واحد أو جماعة في زمن ما.

إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً، أوإعجازاً تاريخياً، أو إعجازاً نفسياً، أو إعجازاً تربوياً، أو إعجازاً تشريعياً، او غير ذلك.

عبارات التشريع والتشريح دقيقة جداً في القرآن

فيأتي اللغوي ليبيّن مظاهر إعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى، ولا تقديم ما أخّر ولا تأخير ما قُدّم، أو توكيد ما نُزع منه التوكيد أو عدم توكيد ما أُكّد. ويأتيك العالم في الطب ليقول من وجهة نظر الطب ألطف وأدق مما يقوله اللغوي. ويأتيك العالم في التشريع ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون ويأتيك المؤرخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه.

إننا ندل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير الفني الرفيع، ونضع أيدينا على شيء من سُمو هذا التعبير، ونبيّن إن هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر، بل ولا البشر كلهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول إن هذه هي مواطن الإعجاز ولا بعض مواطن الإعجاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد، وإضاءات توضع في الطريق، تدل السالك على أن هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريداً، لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» 34» الطور.

أمّا شأن الإعجاز فهيهات، أنه أعظم من كل ما نقول، وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب.

إن هذا القادم من الملأ الأعلى (القرآن الكريم)، والذي نزل به سيد من كبار سادات الملأ الأعلى (جبريل عليه السلام) فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما تنتهي الدنيا ولا ينتهي.

الفرق بين الملك والعزيز أيام الفراعنة

---

* المصدر: كتاب لمسات بيانية بقلم الدكتور فاضل السامرائي.
وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.55a.net

الحكمة الإلهية في تقديم وتأخير بعض الآيات

د. محمد السيد عبد الرازق موسى*

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً وبعد...

هذا كتاب الله – تعالى – الذي شغل العالم منذ نزوله إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو مصباح الظلام ومنهل البيان الذي وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين مشدوهين، وهم الذين طالما خاضوا معارك البلاغة والبيان، وتبارزوا في فنون القول وأسراره حتى أسروا القلوب والأذهان بسحر بيانهم وتبيينهم، وهاهم أولاء يقفون أمام البيان الأعظم مأسورين مشدوهين عاجزين!!

وفيما يلي بعض أوجه الحكمة في القرآن الكريم لدى تقديم آية على أخرى في النزول:

فمن المعلوم أن من الآيات ما نزل لسبب من الأسباب أو لمعالجة موقف من المواقف التي وقعت في حياة المسلمين ومنها ما نزل لإثبات حكم شرعي أراده الله لصالح الحياة والممات.. وكانت هذه الآيات تناسب أحوال الناس وعمر الدعوة الإسلامية فيهم ومدى صلابة العقيدة في ذلك الوقت، فما نزل بمكة يختلف في الأحكام والشرائع عمّا نزل بالمدينة، فإن من أسرار القرآن أنه يمسك بأحوال النفس الإنسانية كلها، ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجهتها للأحداث وفي تصورها لها وإحساسها بها[١].

كلما قوي الايمان كانت الآيات تزداد تفصيلاً

وإذا نظرنا إلى أوّل ما نزل من القرآن الكريم فسنجد قوله تعالى: ﴿*اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*﴾ (العلق ١-٢).

فجاء الخبر بأن الله خلق الإنسان من علق، والعلقة (الدم الجامد). وإذا جرى فهو الدم المسفوح وقال:(من علق) بجمع علق، لأن المراد بالإنسان الجنس، وإذا كان المراد بقوله:(الذي خلق) كل المخلوقات، فيكون تخصيص الإنسان بالذكر تشريفاً له، وإذا كان المراد بالذي خلق:الذي خلق الإنسان، فيكون الثاني تفسيراً للأول، والنكتة ما في الإبهام ثم التفسير، من التفات الذهن وتطلّعه إلى معرفة ما أبهم أولاً، ثم فسّر ثانياً[٢].

وهذه الآية مكّية وقد تقدّمت في النزول على آية سورة المؤمنون وهي مكّية أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ*﴾ (المؤمنون ١٢-١٤)

والعلّة في ذلك والله تعالى أعلم أن آية العلق كانت في بداية ظهور الإسلام وأولى نسائمه ولم تكن النفوس مهيّئة لاستقبال الأمر المفصّل أو الشرح المطوّل بدقائقه، فأجمل لكي يمسّ القلب ويطرقه طرقاً خفيفاً يوقظ الذهن من غفوته وغفلته، ثم جاء بعد ذلك التفصيل ووصف المراحل الدقيقة في سورة المؤمنون بعدها تهيّأت النفوس لذلك واستعدّت لاستقباله وفهمه.

ومن ذلك أيضاً ما جاء من الآيات مقدّماً بعضه على

بعض في تحريم شرب الخمر، وذلك مراعاة لمقتضى الحالة التي كان عليها المسلمون من شربها في ذلك الوقت، فلم يكن سهلاً أن ينقلهم الإسلام فجأة من المألوف إلى التحريم، فنزلت الآيات بالتدرّج في مراحل التحريم، فتقدّمت أولاً آية بيان الإثم الأكبر والمنافع الأقل للخمر، فأصبح التنفير واقعاً في النفس، يقول تعالى: ﴿*يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكرون*﴾ (البقرة ٢١٩)

ثم نزل في مراحل ثانية قوله تعالى: ﴿*يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً*﴾ (النساء ٤٣)

فانتقل المسلمون مع هذه الآية نقلة ثانية تالية للمرحلة الأولى، فصاروا يتجنبون شربها في النهار الجامع لأطراف الصلاة، حتى أصبح الوقت المباح لشربها هو الليل وقليل فاعله، ثم كانت المرحلة الأخيرة التي أتمّ الله تعالى فيها التحريم القاطع إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿*يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون*﴾ (المائدة ٩٠) فهم في هذه المرحلة كانوا على أتم الاستعداد النفسي والجسدي لاستقبال هذا الأمر وتنفيذه من فوره دون معاناة أو تململ.

---

* كلية الشريعة أستاذ مساعد البلاغة والنقد كلية التربية – جامعة المنصورة.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.55a.net الهوامش:

[١] عبد الكريم الخطيب – إعجاز القران – ط١- دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٦٤- ٢٩٤/٢

[٢] الشوكاني – فتح القدير ٦٢٨/٥

إضمن نسختك القادمة من «الإعجاز»

إذا كانت مجلة «الإعجاز» لا تصلكم بواسطة البريد ***Liban Post*** *، ولكي نضمن وصول الأعداد القادمة إليكم يرجى تزويدنا بعنوانكم كاملاً وواضحا .*

يمكن إرسال العنوان بالفاكس أو عبر الإنترنت أو بالبريد العادي على عناوين منتدى الإعجاز المطبوعة في المجلة .

بريد القراء

إعجاز اللغة العربية : بيتان غريبان

هذا البيت لا يتحرك اللسان بقراءته :

آب همي و هم بي أحبابي

همهم ما بهم وهمي مابي

وهذا البيت لا تتحرك بقراءته الشفتان :

قطعنا على قطع القطا قطع ليلة

سراعا على الخيل العتاق اللاحقي

forum. amrkhaled. net

وجوه من إعجاز القرآن الكريم

بقلم الدكتور محمود أحمد الزين*

بسم الله الرحمن الرحيم، له الحمد وبه المستعان، وعلى حبيبه سيدنا محمد واله وصحبه أفضل الصلاة والسلام.

وبعد فقد ترددت بين الناس كلمة تقول: إن إعجاز القرآن أمر لا يدركه إلا العلماء المتخصصون. وهي كلمة غير صحيحة، لأن من وجوه إعجاز القران ما يمكن أن يدركه كل إنسان، وإن كان منها ما لا يدركه إلا العلماء، ومنها ما لا يدركه إلا أكابر العلماء.

وفي هذا البحث عرض لوجوه من الإعجاز خمسة اخترتها من بين وجوه أخرى كثيرة.

أولاً – الاعجاز في التأليف:

وهو الوجه الذي يدركه كل الناس وهو مذكور في القرآن الكريم ذاته في قول الله تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ (النساء ٨٢).

أي لكان بعضه متناقضاً، وبعضه قاصرًا، وبعضه خطأً، وبعضه ضعيفاً، وإذا وجد في القرآن شيء من ذلك، كان فيه نفي الإعجاز عنه، مهما حوى بعد ذلك من صواب، لأن الله تعالى لا يمكن أن يصدر منه أي خطأ، فإذا خلا كتاب من الخطأ دل ذلك على أنه من عند الله سبحانه دلالة قاطعة، إذ لا يمكن لأحد أن يخلو عمله من الخطأ الا الله تعالى، أو أن يعصمه الله سبحانه.

والمراد بالخطأ الذي نفاه القرآن الخطأ الحقيقي للمعلومات التي لا شك فيها ويجمع العلماء عليها.

(١)- أثر مرور الزمن على أي كتاب من صنع البشر:

وأي كتاب من عند غير الله تعالى تتزايد أخطاؤه بمرور الزمن وتوالي الأيام وظهور الاكتشافات والعلوم الحديثة. فلو سألنا العلماء في أي اختصاص كان عن نسبة الأخطاء في كتاب ألفه صاحبه قبل مئة سنة، لكانت إجابتهم أن وجود الخطأ يصبح أمرًا محتمًا لا ريب فيه، إذن ماذا يقولون لو طرحنا السؤال عليهم بعد ألف سنة ؟ وقد طرحت هذا السؤال ذات مرة على طبيب فقال:إن تطور المعلومات الطبية في ألف عام لا بد أن يكشف أن أكثر هذا الكتاب صار أخطاء.

(٢)- أثر تعدد الموضوعات والعلوم على زيادة احتمال الخطأ في الكتب:

لقد افترضنا أن الكتاب في علم واحد هو الطب، واختصاص واحد منه هو طب العيون، وهذا يقلل احتمال وقوع الخطأ، أفلا تزيد نسبة وجود الخطأ إذا افترضنا إضافة الاختصاصات التي لها صلة بطب العيون كأمراض المخ والأعصاب وأمراض الدم، وكالجراحة والصحة العامة، والغذاء، وأمثالها ؟ نقول هذا مع بقاء المستوى العلمي في الأطباء الذين شاركوا في التأليف والمراجعة والتصحيح، ومع بقاء العدد الأكبر منهم؟ إن نسبة الخطأ في هذه الحالة سوف تزيد وإن لم تكن كبيرة، لكنها ستكون كبيرة بلا شك إذا نحن افترضنا أن الكتاب يشتمل على

كل الفروع الطب الجسمي منها والنفسي. أما إذا أضفنا إلى الطب في هذا الكتاب علومًا أخرى تكمله وتساعده كالصيدلة والكيمياء، والتحليل المخبري، و طبائع أجسام الحيوان (البيولوجيا)، وعلم النبات، وعلوم الأجهزة الطبية وصناعتها كأدوات الجراحة والتصوير والتحليل، فنسبة الخطأ بلا شك تكون أكبر عددًا كلما تعددت الاختصاصات والعلوم، وتكون أكد تحققًا، لا سيما بعد مرور ألف سنة كما تقدم.

(٣)- أثر انفراد المؤلف على احتمال الخطا في الكتاب:

كلما ازداد عدد العلماء المشاركين في التأليف قلّ احتمال الخطأ. وإذا انفرد عالم لوحده في اعداد الكتاب ازداد احتمال الخطأ بسبب النقص في التعاون وبمرور الزمن تصبح معلومات الكتاب مشوبة بأخطاء جسيمة لا يقرها بقية العلماء.

كل الكتب تتكشف أخطاؤها بمرور الزمن إلا القرآن

(٤)- أثر مستوى التحصيل العلمي عند المؤلف على احتمال الخطا في الكتاب:

أما ما هو أهم من ذلك كله فهو ملاحظة المستوى العلمي للمؤلف، فماذا حال الكتاب ونسبة الخطأ فيه إذا مر عليه ألف عام تعدد الاختصاصات والعلوم، ومع عدم وجود التعاون، ومع المستوى العلمي الأقل، كما لو افترضنا أن المؤلف كان طبيبًا مختصًا، لكنه ليس في رتبة الأستاذ (البروفيسور) ولا شك أن نسبة الخطأ تزيد حينئذ، لأن المستوى العلمي للمؤلف هو أهم عناصر التأليف، يرتقي الكتاب برقيه، ويضعف بقلته، وهذا يظهر أكثر إذا افترضنا المؤلف طبيبًا عامًا غير مختص، وتتعاظم الأخطاء إذا افترضنا ممرضًا، وتتفاحش الأخطاء ويتكامل ظهورها إذا افترضنا حامل شهادة المدارس الابتدائية، فماذا يكون حال الكتاب إذا كان صاحبه أميًا أملى الكتاب على بعض أصحابه إملاء ؟!!

ماذا يكون في هذا الكتاب من صواب عند تأليفه بغض النظر عن تطور العلوم عبر الأزمان الطويلة؟ !!

هذا المثال يوضح لنا حالة القرآن مع من جاء به يعرضه على الناس ويدعوهم إلى الايمان به، إنه النبي الأمي الكامل الأمية، فقد كان هو أميًا، في بلد أمي في أمة أمية، وجاء هذا القران الذي يشتمل على علم العقيدة الإسلامية بتفاصيلها، وعلى علم مقارنة العقائد الدينية مقرونة بأدلتها، ومقارعة المخالفين بالحجة والبرهان، وعلى علم أساسيات التشريع بكل جوانبه: العبادات مع بيان مقاصدها وآثارها، والقوانين: قانون الأسرة، الأحوال الشخصية ، والقانون الاقتصادي، والجنائي، والعسكري، والدولي، وقانون المرافعات من شهادة واعتراف واستدلال وغير ذلك، واشتمل على دستور الأخلاق الإنسانية وأهم قضاياها، وعلى مجمل تاريخ الوجود الإنساني في أهم مراحله، و مجمل تاريخ الأديان وما طرأ عليها من تغيير، واشتمل على قواعد مهمة جدا من علم النفس، وعلم الاجتماع، وقطوف من الطب والطبيعة، وغير ذلك، يسوق كل هذا بطريقة تربوية تعمق أثره في النفوس، وبأسلوب أدبي رفيع، هو وحده معجزة مستقلة.

وهو مع ذلك كله يقول: إن هذا الكتاب لا يوجد فيه أي خطأ موثق بالدليل الصحيح، وهو يتخذ من ذلك دليلاً على أنه من عند الله ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ (النساء٨٢).

وهو يتحدى المتشككين بأن الله الذي أنزله يقول ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (البقرة ٢٣).

وهذا التحدي ليس مقصورًا على قومه أو جيله أو عصره، بل هو يقول ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ (الإسراء٨٨).

هل يمكن أن يعجز البشر عن كشف خطأ واحد في كتاب تعددت علومه، جاء به إنسان واحد أمي، من بلد أمي، ومن أمة أمية، وقد مضى على الكتاب الف وأربعمائة عام؟ هل يمكن أن يعجز البشر هذا العجز لو كان الكتاب من تأليف هذا الإنسان؟

لا يوجد كتاب تشريع لا يحتاج إلى تعديل إلا القرآن

البداهة تقول: لا يمكن، والعلم العميق يقول: لا يمكن. فهو إذن معجز لا يقدر عليه إلا الله، ولا يأتي به إلا الصادق الأمين وحيًا من عند الله.

ثانيًا - الإعجاز التشريعي

والإعجاز التشريعي يظهر في الأمور الثلاثة التالية: الاعتراف العلمي العالمي به، والاعتراف التشريعي العالمي به، وعدم احتياجه إلى التعديل خلافًا لكل قوانين الدنيا.

(١) - أما الاعتراف العلمي العالمي به: فيظهر في تلك الدراسات ا لجامعية من رسائل الماجستير والدكتوراة في الشريعة الإسلامية، لا في جامعات العالم الإسلامي فقط، بل في العالم الغربي الذي يتبنى عداء العالم الإسلامي والدين الإسلامي، وكذلك الأمر في كثير من بلدان العالم غير الإسلامي في الشرق، وهذا اعتراف ضمني من الجميع - حتى الخصوم - بأن هذا التشريع يستحق أن يدرس دراسة علمية على أعلى المستويات، فهل يمكن أن يأتي أحد بكتاب على هذا المستوى وهو أمي في بلد أمي في أمة أمية ؟. !!

-(٢) وأما الاعتراف التشريعي العالمي به: فيظهر في قرارات المؤتمرات العالمية:

أ - مؤتمر القانون المقارن في مدينة لاهاي في جمادى ١٣٥٦ هـ- اغسطس ١٩٣٧)

حيث اتخذ القرار التالي: اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع العام[١].

ب - مؤتمر المحامين الدولي في مدينة لاهاي(١٥ - ٢٢ أغسطس ١٩٤٨) حيث ا تخذ القرار التالي: نظرًا لما في التشريع الإسلامي من مرونة وماله من شأن هام يجب على جمعية ا لمحامين الدولية أن تتبنى الدراسة المقارنة له ذا التشريع وتشجع عليها[٢]، والتشريع الإسلامي أساساته كلها في القرآن.

ج - بل عقد مؤتمر في كلية الحقوق من جامعة باريس (١٩٥١/٧/٢) باسم: أسبوع الفقه الإسلامي. كان من جملة قراراته المتعلقة بالشريعة الإسلامية ما يلي: إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ... ويرغب المؤتمرون أن يظل أسبوع الفقه الإسلامي يتابع أعماله سنة فسنة [٣].

أيعقل أن يؤلف التشريع الإسلامي - الذي يقر خصومه هذا الاقرار - إنسان مهما عظم علمه، فكيف الأمي في بلد الأمية والأمة الأمية؟!! أم هو تنزيل العليم الحكيم؟!!.

(٣) - وأما عدم احتياجه إلى التعديل خلافًا لكل قوانين الدنيا، فهذا برهان من الإعجاز يستطيع

كل مثقف مهما قل مستواه الثقافي أن يتأكد منه، فكل قوانين الدنيا تظل دائمًا بحاجة إلى التعديل حسب تغير الظروف وتغير الشعوب وتغير الأوطان.

وأقرب مثال على ذلك هو القانون الروماني، الذي ظل الرومان ينقحونه مئات السنين، ثم أخذ منه العالم الغربي قوانينه، وهي عرضة للتعديل دائمًا، حتى صار الفارق بينها وبين الأصل كبيراً، وهذا التعديل قاعدة تشريعية معترف بها عالمياً. لكن التشريع الإسلامي - الذي وضع القرآن أساساته - ظل سائداً في المجتمعات الإسلامية ثلاثة عشر قرنًا دون حاجة إلى أي تعديل، إلا إذا كان ضمن قواعده هو، وأحكامه هو، وحينئذ يكون التعديل لما أدركه العلماء منه، لا تعديلا له، أما هو فاستغنى عن التعديل، رغم تغير الأزمان وتغير الأوطان وتغير الشعوب، و ظل يفيض أمنًا وسلامًا على المسلمين إلا حين يخالفه الحكام والقضاة، ولا يزال أثر ذلك الأمن موجودًا في البلاد الإسلامية بعد زوال حكم الشريعة الإسلامية منها، يختلف حظها من الأمن قرب نظامها من الشريعة الإسلامية، وحسب قرب عاداتها منها، أو حسب قرب شعبها من مفاهيم الإسلام وأخلاقه وسلوكياته.

ترى هل يعقل أن تكون حاجة كل قوانين الدنيا إلى التعديل مستمرة رغم اعتمادها على الدراسات القانونية الجامعية، وعلى أنواع شتى من هذه الدراسات، وعلى مشاورات كثيرة لأعضاء اللجان المتخصصة في الدراسات التشريعية، بينما يستغني التشريع الإسلامي عن التعديل إلا ضمن قواعده وأحكامه و ثوابته، مع أنه جاء به رجل أمي في بلد أمي في أمة أمية، أيعقل ذلك إلا إذا كان الذي جاء به رسولاً مؤيدًا من عند الله تعالى.

يستحيل أن تجد كتابًا من ١٥٠ صفحة فيه هذا الكم من العلوم والاحكام والمعلومات

ثالثًا - الإعجاز الأدبي

إن الحديث عن الإعجاز الأدبي في القرآن: وهو أنه ارتقى في البلاغة حتى صار في مستوى يعجز عنه البشر أفراداً و جماعات، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا - هذا الحديث يطول كثيراً، وهو أحوج أنواع الإعجاز إلى الاستعداد في التحصيل الدراسي وفي التذوق، وتوضيحه أصعب ما يكون، لا سيما في وقتنا الذي تضاءلت فيه إمكانية إدراكه حيث غلب على الدارسين ضعف الاستعداد : لقلة التحصيل الدراسي وضعف التذوق.

لكن هناك مقدارًا يمكن بيانه وهو الإيجاز العظيم في هذا الكتاب، فرغم كل العلوم التي تناولها مما سبق ذكره في هذه الرسالة الصغيرة. لا يتجاوز حجمه حجم كتاب صغير من مقياس الصفحات المعتاد ١٨ × ٢٥ سم ولا تتجاوز صفحاته ١٥٠ صفحة لو طبع بالحرف المتوسط كما في الكتب المتداولة، وهو مع ذلك فيه تكرار غير قليل في القصص والأخبار كقصة موسى عليه السلام وتكرار في تناول الموضوعات كموضوع التوحيد والشرك.

والإيجاز من أهم عناصر البلاغة في النصوص الأدبية مع المحافظة على الوضوح كما في القرآن الكريم، حتى قال بعض علماء البلاغة: البلاغة هي الإيجاز ، ترى أيمكن وجود هذا المقدار من الإيجاز في استطاعة البشر ؟!

فإذا نحن أردنا دليلاً من أهل الاختصاص في الأدب والبلاغة فيكفي أن نذكر أن هذا القرآن أول ما تحدى البشر تحداهم ببلاغته حتى قال ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ (هود ١٣).

والافتراء ليس له مضمون حقيقي، فالتحدي أسلوبي حتمًا، ثم تنازل معهم في التحدي فقال ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ مع أن بعض السور كلماتها بضع عشرة كلمة.

وبعد أربعة عشرة قرنا لم يقدم خصوم القرآن أي نص أدبي يعارضه، إلا تلك المنقولة عن مسيلمة وأشباهه مما هو سخرية في نظر البلغاء، ترى ما الذي منعهم من المعارضة لو كان ذلك في استطاعتهم، وما الذي دعا مفاوض النبي صلى الله عليه وسلم من قريش، وهو الوليد بن المغيرة إلى أن يقول لهم: والله ما منكم رجل اعرف بالشعر مني، ولا أعلم بزجره ولا بقصيده ولا بأشعار ا لجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من هذا، و والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته.

أيمكن أن يكون أحد منهم قادرا على ذلك ويتوقف عنه رغم التحدي الشديد والتوبيخ والتنديد ؟!

إن مجرد الفضول الأدبي يدعو الإنسان الذي يجد في نفسه القدرة أن يستجيب، فكيف إذا كان يجد القدرة وتكون نتيجة المعارضة كسر هذا الخصم الذي حاربوه وحاربهم بكل سلاح؟ ولقد عارضوا شعراءه حين اشتعل الهجاء بينهم، ولكنهم لم يعارضوه قط، أيمكن ان يكون لذلك سبب سوى أنهم عن المعارضة عاجزون، تحقيقا لقول الله تعالى وهو يكشف للخلق حجب المستقبل ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (البقرة ٢٤). ولا سبيل إلى اتقائها إلا الإيمان به.

رابعًا - الإعجاز بكشف المستقبل

ومن أدلة الإعجاز باب الحديث عن الغيب: ولا سيما المستقبل الذي لا يوجد بين يدي من يخبر عنه شيء من دلائله، ولنأخذ لذلك مثلا قول الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر٩).

فسنرى عند التأمل أمرًا عجيبًا، وأول ما يظهر من ذلك تميزه على الكتب السابقة، فلا يوجد في العالم كتاب آخر حوفظ على مضمونه ولم يتغير فيه حرف ولا كلمة ولا جملة بينما تعرضت كل الكتب الأخرى بلا استثناء لضياع كثير وتدخل من الناس كثير.

ولننظر كيف يسر الله أسباب الحفظ لهذا الكتاب تيسيرا لا يعرف له نظير.

(١) توثيق الكتب كان أمرا بعيد الحصول في الأمة الأمية نادر الأدوات من ورق وأقلام فكتب القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما تيسر في نسخة له خاصة، وفي نسخ يكتبها لنفسه كل قارئ في ا لجلود والألوا ح الخشبية أو الحجرية.

(٢) حفظوه في صدورهم حفظا حرفيا فكثر حفاظه، حتى قتل منهم في معركة بئر معونة سبعون حافظا، فكم كان الحفاظ الآخرون ؟.

(٣) أعيدت كتابته في خلافة الصديق حين كثر القتلى من حفاظه، مع المقابلة بين النسخة الأولى النبوية وحفظ الحافظ ومنهم الكاتب وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهذه هي نشأة علم مقابلة المخطوطات وتوثيقها، وهوعلم لم يكن معروفا لا سيما عند العرب، وفي مكة والمدينة بالذات، لقد نشأ هذا العلم لأجل القرآن خاصة ثم انتقل إلى غيره.

(٤) ولما نقل الناس بعضهم من بعض عن غير

نسخة الأصل وعلى مناهج إملائية غير موحدة وقع اختلاف في القراءة، فأعيدت الكتابة مرة ثالثة بمنهج إملائي موحد، في عهد عثمان رضي الله عنه ثم أحرقت النسخ الأخرى، وألزم الناس جميعا ألا ينقلوا إلا من هذه المصاحف التي تمت فيها المقابلة على الوجه السابق، لكي لا يتجدد الاختلاف.

(٥) ظل القرآن ينقل بالسند المتصل حتى يومنا هذا في بداية العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري، مع الاعتماد على الكتابة والسماع معا، وشيوخ الإسناد معروفون بقصدهم طلبة العلم لذلك.

ونشأت علوم متعددة كمّل الله تعالى بها هذا الحفظ وهذا الضبط من حيث النطق والكتابة منها:

(١) علم رسم القرآن.
(٢) علم القراءات.
(٣) علم التجويد.
(٤) اخترع العلماء طريقة تمييز الحروف المتشابهة بواسطة النقط، كالفرق بين الجيم والحاء والخاء بالنقط، وهو شيء لم يكن معروفا عند العرب طول تاريخهم.

ونشأت علوم أخرى تخدم معاني هذا القرآن الكريم وتفسيره:

(١) علم الصرف.
(٢) علم النحو.

ثم نشأت علوم التفسير

١- علم مفردات القرآن الكريم.
٢- علم إعراب القرآن.
٣- علم الأساليب القرآنية.
٤- علم قواعد تفسير القرآن الكريم.
٥- علم قواعد استخراج الأحكام الشرعية من القرآن والسنة.
٦- تفسير الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن الكريم خاصة.

وهذا المستوى العظيم من الحفظ والضبط كان سدا عظيما في وجوه أهل الآراء الشاذة المبتدعة أن يغيروا ألفاظ القرآن بحسب مقاصدهم، فقد اختلف المسلمون في أمور كثيرة، أما هذا القرآن فلا يزال مكتوبا مقروءا كما أنزل، قد سخر الله تعالى له هذه العلوم وهؤلاء العلماء فانفرد من بين كل الكتب الأخرى دون استثناء بوجوه من الحفظ المحكم الوثيق التي لم ينلها غيره، فهل يمكن لبشر أيًا كان أن يقول ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر ٩).

ومن وجوه الاعجاز الغيبي نتوقف حائرين أمام الكشوف العلمية للقرآن الكريم والتي لم تكن بأي حال من الأحوال معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لأحد من العلماء فضلا عن البسطاء، وهذا لا يمكن أن يفسر إلا بأن هذا الكتاب أنزله علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يمكن أن يأتي به الخلق ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا..

وفي هذا الموجز أحب أن أذكر بالجانب الطبي في القرآن الكريم، والمعلومات الطبية ما بين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزماننا - بعد أربعة عشر قرنا - قد تغيرت تغيرا كثيرا حتى كأنها انقلبت رأسا على عقب، ومع ذلك تظل المعلومات الطبية والوصايا المتعلقة بها في القرآن الكريم موضع تقدير المنصفين من أهل العلوم الطبية غير المسلمين، وموضع إعجاب شديد لهم وبابا من أبواب الهداية للباحثين عن الحق والهدى من طريق البراهين العلمية.

ويكفي لإثبات الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

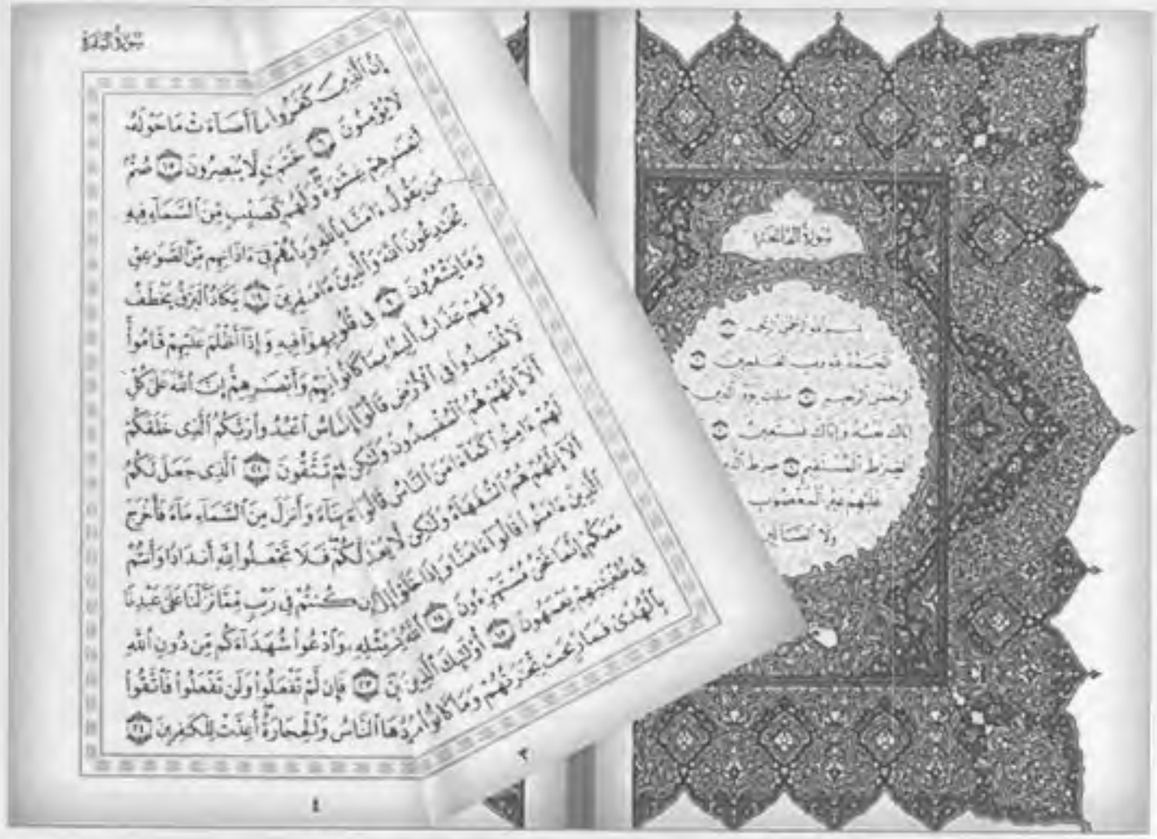

ألا يكون في أوامره ونواهيه المتعلقة بالطب مخالفة لشيء من المعلومات الطبية المحققة، لأن علوم الطب تطورت منذ عصر نزول القرآن تطورًا كبيراً قلب كثيرًا من المعلومات - إن لم نقل أكثرها - وكانت مكة أقل بلدان العالم معرفة بالطب، فهذا المقدار وحده معجزة لا تقاوم ولا تنكر. أما إذا جاء تطور العلم الطبي ليؤكد تلك المعلومات القرآنية الطبية، وليكشف عن مجالات أكبر لفوائد الأوامر وأضرار النواهي كان ذلك مستوى من الإعجاز أرقى مما سبق.

وفي الختام نذكر أن الوقاية الطبية في القرآن الكريم منهج وليست قطوفًا متناثرة وأنه كلما تقدم العلم كثرت مؤيداته واندفعت عنه الشبهات التي يلقيها المبطلون تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ (النساء ٨٢).

---

* باحث أول بدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.

موقع عالم القران الكريم www. hqw 7. com تيسير البيان عن إعجاز القران

(١) المدخل الفقهي العام للأستاذ. مصطفى الزرقا ٣٠٧ / ١، ط دار القلم.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المدخل الفقهي العام ٢٣ -١\٢٤.

الإعجاز القصصي في القرآن الكريم

محمد فرشوخ [1]

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، يقول الله تعالى في سورة الملك: ﴿*ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير*؟﴾.

يعرف اللطيف الخبير سبحانه كيف يؤثر في نفوس خلقه، فكان للأسلوب القصصي نصيب هام في القرآن الكريم. وللقصة في نفس ابن آدم أبلغ الأثر، ولا يظن أحد أنها موجهة للأطفال فقط، فالمجتمعات كلها تحب القصة وما اجتماع الناس أحياناً إلا لتسقط أخبار بعضهم البعض، والناس يقصدون الحكواتي في المجتمعات الفقيرة لسماع القصة ويرتادون المسارح ودور السينما في المجتمعات الأخرى للغاية عينها، لأن النفس البشرية تنزع نحو معرفة الأحداث السيء منها والجيد، وتتهافت على مراقبة ثراء الثري وتسلط الحاكم وتتأثر لرؤية الفجيعة وإلى تفاصيل الخلافات بين الناس، والإنسان يميل إلى تقصي الأخبار ويدعوه فضوله إلى الإنصات والتتبع.

سبك الخالق تعالى قصص القرآن بطريقة بليغة وشيقة وسلسة، يسهل حفظها، لا تخلو من العاطفة والحس والمشاعر الإنسانية، ترافقها الفاظ وعبارات كأنها جمل موسيقية تتناسب ومناخ القصة، رقيقة عند التقاء الأهل والأحبة، صارمة عند مواجهة أعداء الإيمان، مقنعة عند جدال المشركين، حزينة عند يأس الأنبياء وكرب الصالحين، مرعبة عند نزول البأس والعقوبة الإلهية في القوم الظالمين، فتدخل العبرة منها في خبايا نفس القارئ والمستمع عن غير قصد منهما.

وقصص القرآن مختارة ومتنوعة، ففي كل قصة وموعظة منه خصوصية وتميّز لا تشبه سواها، لأن القصة ليست الغاية بل الموضوع هو الأهم ليكشف ميول النفوس، وأمراض المجتمعات، وأنواع المعاصي، وسمات أصحاب الإرادات العظيمة والنفوس الكبيرة، فيكون بعض الناس عبرة لمن يعتبر ويكون البعض الآخر القدوة والأسوة. فكيف إذا كانت قصص القرآن تتعلق غالباً بالمشاهير من مختلف الأقوام والأمم؟ وكيف إذا كانت هذه القصص تميط اللثام عن قصص الأمم الغابرة وتحسم الجدل الذي دار حولها قروناً طويلة؟

يقول الدكتور سيد قطب رحمه الله عن أغراض القصة في القرآن الكريم، أنها لإثبات الوحي والرسالة، وأن الدين كله من عند الله، وأن أصل الدين واحد، وأن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وكذلك ردود أقوامهم عليهم متشابهة، وأن الله تعالى ينصر أنبياءه في نهاية الأمر ويهلك العاصين، وأن يتنبه الانسان إلى غوايات الشيطان، وأن الله تعالى قادر على إحداث الخوارق كقصة ميلاد عيسى عليه السلام وقصة إبراهيم وإعادة خلق الطير، وإحياء الموتى...[2]

ولكن في قصص القرآن عبر لا تحصى ولا تعد بعضها ظاهر للعيان وأخرى رقيقة قد تبدو ثانوية في موضوع القصة لكن لها دلالاتها وأبعادها. وللنفس البشرية في قصص القرآن حصة كبيرة بأبواب متعددة.

وقصص القرآن ليست ضروباً من الخيال أو ادعاءً لمواقف صورت في الأذهان إنما هي روايات حقيقية مضت في الأمم السابقة أثبتت الحفريات والمكتشفات الأثرية صحة ما اندثر منها والعجيب المعجز فيها أن الله تعالى أخبر سلفاً أننا سنعثر عليها وأخبرنا بالدليل القاطع على صحتها، ومنها على سبيل المثال نجاة جسد فرعون الغريق والذي أثبت العلماء الفرنسيون وفاته غرقاً حين حللوا رئتيه قبل بضعة عقود، قال عنه تعالى: ﴿*فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون*﴾ [٩٢] (سورة يونس) ومنها أيضاً العثور على سفينة نوح بألواحها والدسر إلخ...

ولا يظن أحد أن في ترداد قصة من قصص القرآن تكرار يدعو إلى الملل، وخاصة في أخبار سيدنا موسى عليه السلام وفي أخبار بني إسرائيل، لأن في إعادة رواية

حادثة ما، تركيز على جانب آخر لم يرد في الرواية السابقة ويكون هو الموضوع الجديد المطروح في السورة الحالية وبمثابة الشاهد على الموضوع الذي تعالجه السورة. فأخبار السحرة عند مواجهة سيدنا موسى تطرح مرة من زاوية ولأنهم لمن يدفع أكثر، ومرة لإثبات أن السحر باطل لا يطال إلا الأعين وأن ذكر الله تعالى يبطله، وفي مرة ثالثة لإظهار عدم ثبات الكفر في وجه الإيمان والداعي بحيث أمن السحرة رغم التهديد والوعيد...

ويقول الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله، إن في تجزئة قصة ما في عدة سور، تجنب للتطويل، ومعالجة لموضوع ما من زاوية مختلفة، وتذكير للقارئ بالقصة كلها من خلال تذكيره بجزء منها فتستعيد ذاكرته كامل القصة عن غير قصد منه كلما قرأ من القصة جزءاً يسيرًا. ناهيك عن الحوار الذي يدور في كل قصة بأسلوب ومعانٍ تسير أعماق النفوس وتهز المشاعر، وتترسخ في الأذهان.

وليس في القرآن سيرة رسول كاملة في سورة واحدة إلا في سورة يوسف، وفيها على استثنائها إعجاز خاص، إذ لخصت حياة نبي ومعاناته في قصة قصيرة جداً معبرة وموجزة. لم ينقص الإيجاز فيها من تفاصيل الأحداث الكثيرة ولم يأت الإيجاز على حساب تحليل مواقف الشخصيات ولا على حساب إبراز المواقف والمشاعر والأحاسيس لكل أبطال القصة.

وقصص القرآن لا حشو فيها، من المعجز فيها أنها تقدم لكل قصة ببضع آيات وأحياناً بآية أو أقل من آية لتضع القارئ والمستمع في الجو السائد ثم تنتقل فوراً إلى لب القضية فتصف المشهد وتسجل الحوار وتخلص إلى النتيجة في أقل من نصف صحيفة على الإجمال.

وفي القرآن الكريم عدد من القصص اختصر الله تعالى كلاً منها في آية واحدة أو آيتين ومنها حوار إبراهيم مع ملك زمانه في سورة البقرة: ﴿*ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين*[٢٥]﴾.

ومن أخبار سيدنا موسى في القرآن يصف المولى تعالى حالة موسى بعد هروبه من مصر ووصوله إلى مدين جائعا مرهقاً بائسا، يسقي للفتاتين ولا يطلب أجراً إلا من ربه فيناجيه ثم يأتيه الفرج وكل ذلك فقط في ثلاث آيات: ﴿*ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير* [٢٣] *فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير*[٢٤] *فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين* [٢٥]﴾ (سورة القصص)

وأما عن خاتمة حدث جلل سجله تاريخ الإنسانية وهو الطوفان فقد جاءت في القرآن بليغة موجزة دون أن تقصّر في حق المشهد المرعب الهائل الذي ساد قبل تلك اللحظات فيقول تعالى: ﴿*وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين* [٤٤]﴾ (سورة هود). فتنتهي ثورة الطبيعة ويسود الهدوء بعد أن ابتلعت الأرض والماء من قضي عليه من البشر. كل ذلك في آية واحدة.

وما أسلفناه ليس إلا غيضاً من فيض، حبذا لو يتسع المجال للتمتع بدقة السرد الإلهي لأخبار الأمم السالفة، فبعضها يرقق القلب وآخر يرعبه وبعضها الثالث يوقظ النفس وغيرها يوقظ الهمة وكلها تدعو إلى التفكر.

وفي الخلاصة أن القرآن الكريم ليس كتاباً لمجموعة قصص، بل حقائق للموعظة والذكرى وليست القصة فيه إلا لغاية تخدم هذه الموعظة وتلك الذكرى. يقول الله تعالى في سورة هود: ﴿*وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين* [١٢٠]﴾.

- قصص القرآن حقائق وليست من الخيال
- القصة في القرآن للموعظة.
- إعجاز القصة في إيجازها وشمولها وبلاغتها.

---

(١) Moharshuk @ gmail.com

(٢) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن.

الرحمن علم القرآن - ١١

باسم وحيد الدين علي

تفسير القرآن – القسم الثاني

نضيف إلى ما مر معنا في العدد السابق أن التفسير اصطلاحًا هو البحث عن مراد الله تعالى من محكم تنزيله بقدر الطاقة البشرية[١].

ولا يعرف مراد الله تعالى حقًا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك حرص الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على تتبع الحفظة والكتبة والمقربين من الصحابة لمعرفة ما غاب عنهم وما كان القصد من كل اية وسورة. فقد أجهد ابن عباس رضي الله عنهما نفسه لكي يفهم من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من من ازواج النبي قصد الله تعالى بالآية ﴿*إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما*﴾ حتى حج معه وعلم منه ما يريد[٢].

وبعد أن استعرضنا في العدد الماضي أشهر طرق التفسير ومؤلفاتها بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي بقيت بعض طرق التفسير التي تناولت جوانب من القرآن الكريم بعضها متعلق بالإشارات والتجليات القلبية وأخرى بالاحكام الفقهية ونختم بما انتهى إليه علماء التفسير في العصر الحديث:

١- **التفسير الإشاري:** ويدعى أحيانًا بالتفسير الصوفي، لما فيه من الاستنباطات الروحية والسلوكية شرط ألا يتعارض مع الفهم اللغوي أو يناقض شيئًا مما ورد في الكتاب والسنة.

ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه...) أي تضايقوا من وجوده لصغر سنّه، فدعاه عمر يومًا ليريهم فقهه ونباهته فسألهم عن تفسير سورة النصر فجاء تفسير بعضهم لغويًا محضًا. ثم توجه عمر إلى ابن عباس فقال: (اكذاك تقول يا ابن عباس؟) فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابًا. فقال عمر: ما أعلم منها الا ما تقول).

ومن أهم كتب التفسير الاشاري:

- تفسير القرآن العظيم للتستري.
- لطائف الاشارات للقشيري.

لكن هذه التفاسير لا تعدو كونها إشارات متقطعة في ايات معينة ولا يمكن تفسير القرآن الكريم كله بطريقتها مما يجعلها متناثرة في لطائف ومعانٍ بين دفتي القرآن. ولا يقدر عليها الا أهل المعرفة بالله ولا يستحسن لأي كان الخوض فيها لدقتها وصعوبة استخراج إشاراته وخوفًا من المبالغة والخطأ والشطط.

٢- **التفسير الفقهي:**

أهمية هذا النوع من التفسير أنه يعنى بدراسة آيات الاحكام ويستنبط منها الاحكام الشرعية المناسبة، ويتطلب من المفسر ان يكون ذا علم غزير وعقل وفير وورع وتدبير لما في استنباط الاحكام من دقة وأهمية.

وليس التفسير الفقهي غريبًا عن الاسلام والمسلمين اذ بدأ منذ الهجرة المباركة حيث كانت آيات القرآن تنزل بأحكام في مجالات متعددة وكان النبي صلى

الله عليه وسلم يتلوها ويعززها بالشروح والاستكمال. وصار بعض الصحابة أكثر من سواهم تخصصًا في هذا المجال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيل بعض السائلين إلى الصحابة هؤلاء لكي ينبّه المسلمين إلى ما بلغوه من علم وفقه ولعلهم يعودون إليهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ومنهم زيد بن ثابت في الميراث وعبد الله بن مسعود وابي بن كعب في القران وعلي بن ابي طالب في الاستنباط والقياس رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أشهر التفاسير الفقهية:

- احكام القرآن لأبي بكر الرازي (الجصاص).
- الجامع لاحكام القرآن للقرطبي.

٣- **التفسير في العصر الحديث:**[٣]

منذ أن وطئ الاستعمار أرض البلاد العربية والاسلامية أخذ مثقفوه ومستشرقوه يسعون للنيل من الدين بكافة أوجهه وفي طليعتها القرآن الكريم، محاولين التشكيك به جملة وتفصيلاً. وحاولوا ان يدحضوا ما جاء به عن طريق ما اكتشف في عصرهم من الاكتشافات العلمية البدائية ومعتمدين على عقلية مادية تجاهلت الروح والقيم والايمان. وكان من الطبيعي أن يتصدى لمثل هذه النظريات عدد جم من علماء الأمة وفقهاؤها فنجحوا في كثير من المواقف وتصدى معهم نفر آخر حاول الرد على المادي بالمادي وتنصّل عن جهل وقلة علم من المفاهيم الروحية لهذا الدين فجاءت ردودهم أضعف من حجج المشككين والمضللين.

ولا ضرورة للتفصيل في هذا المجال مع الاكتفاء ببعض الأمثلة منها إنكار معراج النبي صلى الله عليه وسلم وإسراؤه جسدًا وروحًا بل جعلوها منامًا، وأن الطير الأبابيل التي رمت جيش «أبرها» الذي قصد الكعبة المشرفة كانت مرضًا جلديًا أشبه بمرض الجدري. وأن إحياء الموتى على يد بعض الأنبياء لم يكن إلا تحضيرًا للأرواح وهكذا...

لكن سرعان ما رفضت الأمة بعلمائها وعامتها مثل هذه التفاسير وأهملتها وسرعان ما ظهرت تفاسير أكثر حداثة اتسم بعضها بالمنهجية، والآخر بالأدبية والاجتماعية وأخرى بنفحات علمية وأخرى موضوعية بحسب المواضيع المتطرق إليها.

وفي أيامنا الحالية نجد أن الحديث من التفاسير المعتمدة هو الذي يغلب عليه تفسير المعاني ويشرح في الوقت عينه أسباب النزول وفقه الاحكام. ويستند في التفسير إلى ما يؤكده من الحديث الشريف من أقوال أجلّة العلماء، كما يعزز الحجة بما توصلت إليه الاكتشافات الحديثة المثبتة علميًا من قبل خيرة علماء العالم من مسلمين وغير مسلمين.

وفي الختام فان تفسير القرآن الكريم في كافة وجوهه أمر يقرب من الاستحالة فهو كلام الله المعجز، لكن الموفق هو الذي يوغل فيه برفق فيحسن مخارج الالفاظ والحروف ويفهم المعاني ويتدبر المقصود حتى تتمكن آثارها من أن تستقر في روعه فتعزز ايمانه وتزيد يقينه وترفع همته وتوسع إدراكه.

صار من السهل على كل مثقف ومطلع أن يدرك بعقله ووعيه وتبصره أن كلامًا يتداوله الناس منذ الف واربعمائة سنة لم يتغير ولم يتبدل، لا تنقضي عجائبه ولا تبلى جدّته، والايام تثبت صحة أحكامه هو كلام الله المنزل وليس بكلام أحد من العالمين، ارتضاه الله للناس وجعل في تطبيقهم له صلاح حياتهم وأخرتهم.

(١) الزرقاني، مناهل القران، ج١ ص٤٧١.
(٢) مسند الامام احمد ابن حنبل ج١ ص ٣٥٢-٣٥٣.
(٣) د. نور الدين عتر، علوم القران ص ١١٠.

خير خلق الله - ١١
مقامه ﷺ عند الله تعالى

ما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة رسوله المصطفى ﷺ: فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: «ما خلق الله عز وجل، وما ذرأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته، فقال: لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون[1]».

ومما قاله الله تعالى لنبيه الأكرم محمد ﷺ في كتابه العزيز:

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا [٧٨] وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا [٧٩]﴾ (سورة الإسراء).

وفي معنى المقام المحمود: أورد الإمام القرطبي في تفسيره[2] عدة أقوال أهمها:

[القول الأول] - الشفاعة للناس يوم القيامة؛ قاله حذيفة بن اليمان. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. وفي صحيح مسلم عن أنس قال حدثنا محمد ﷺ قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني فيقولون: يا محمد اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا فأقول: أنا لها حتى يأذن الله عز وجل لمن يشاء ويرضى فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يصدع بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمته فنحن الآخرون الأولون نحن آخر الأمم وأول من يحاسب فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها فنأتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال: من أنت فأقول: أنا محمد فيفتح لي فآتي ربي عز وجل ... فأخر له ساجدا فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي وليس يحمده بها أحد بعدي فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل تسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أي رب أمتي أمتي فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا (من الخير) ثم أعيد فأسجد فأقول ما قلت فيقال: ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: أي رب أمتي أمتي فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا دون الأول ثم أعيد فأسجد فأقول مثل ذلك فيقال لي: ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: أي رب أمتي أمتي فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا دون ذلك.

[القول الثاني]- أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة.

فعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي...» الحديث.

ولا تناقض بين القولين السابقين بل يتكاملان.

[القول الثالث]- إخراج النبي ﷺ من النار بشفاعته بعضاً من أهلها؛ قاله جابر بن عبدالله. وذكره مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها.

والمقام المحمود عند البعث مقام يغبطه به الأولون والآخرون كما روي عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

ومما أخبر به أصحاب النبي ﷺ: أخرج الطبراني وابن عساكر عن ابن مسعود قال: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وإن صاحبكم خليل الله، وإن محمدا سيد بني ادم يوم القيامة. ثم قرأ (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم؟

ومما أخبر به عن نفسه: أخرج الترمذي وابن مردويه عن ابن عباس قال: «جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، وإذا بعضهم يقول: إن الله اتخذ من خلقه خليلا فإبراهيم خليله. وقال اخر: ماذا بأعجب من أن كلم الله موسى تكليما. وقال آخر: فعيسى روح الله وكلمته. وقال آخر آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم فقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم ان إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى كليمه، وعيسى روحه وكلمته، وآدم اصطفاه الله ربه كذلك، ألا وإني حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتحها الله، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر.

وفي دلائل النبوة[3]، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يصعقون (يغشى عليهم) يوم القيامة فأكون أول من يفيق،»

وفيها عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد ادم يوم القيامة، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، لواء الحمد معي، وتحته آدم ومن دونه ومن بعده من المؤمنين».

وفي الدلائل أيضاً وعن أنس كذلك: «أنا أولهم خروجا إذا بعثوا، وقائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف علي الف خادم كأنهن بيض مكنون، أو لؤلؤ منثور».

(١) سورة الحجر الآية ٧٢
(٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القران، تفسير سورة الإسراء، الآية ٧٩
(٣) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج١ ص ٣٠ و٣١ و٣٥.

إلى الأحبة القراء:

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا ان يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

عزيزي القارئ،

ضع هذه المجلة في المكتب او في البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها او تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى ﴿كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره﴾.

أدب الطبيب في ظل الإسلام

يقلم الدكتور محمد نزار الدقر*

يحتاج الطبيب، من وجهة نظر الشارع الإسلامي إلى مجموعة من الصفات، كي يكون مؤهلاً لتأدية واجبه الطبي على الوجه الأكمل ومع أن القيام بهذه المهنة واجب كفائي إلا أن علماءنا اعتبروها من أشرف المهن لارتباطها بحفظ النفس وحسن أداء الإنسان لمهمة استخلافه في هذه الأرض، بيد أنهم جعلوا ذلك رهين شرطين اثنين:

أولهما أن تمارس المهنة بكل اتقان وإخلاص،

وثانيهما أن يراعي الطبيب بسلوكه وتصرفاته الخلق الإسلامي القويم.

وقد جمع الدكتور شوكت الشطي صفات الطبيب الحاذق التي تتطلبها الشريعة الإسلامية عن مؤلفات الطب الإسلامية في عشرة صفات:

١- على الطبيب أن يلم بأسباب المرض والظروف التي أحاطت به بما في ذلك النظر في نوع المرض ومن أي شيء حدث والعلة التي كانت سبب حدوثه.

٢- الاهتمام بالمريض وبقوته والاختلاف الذي طرأ على بدنه وعاداته.

٣- أن لا يكون قصد الطبيب إزالة العلة فقط، بل إزالتها على وجه يؤمن معه عدم حدوث أصعب منها. فمتى كانت إزالتها لا يؤمن معه حدوث ذلك أبقاها على حالها وتلطيفها هو الواجب.

٤- أن يعالج بالأسهل فالأسهل. فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذر الدواء البسيط.

٥- النظر في قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المرض.

٦- أن ينظر في العلة هل هي مما يمكن علاجها أم لا؟ فإن لم يكن علاجها ممكناً حفظ صناعته وحرمته ولا يحمله الطمع في علاج لا يفيد شيئاً.

٧- أن يكون له خبرة باعتدال القلوب والأرواح وأدويتها وذلك أصل عظيم في علاج الأبدان فإن انفعال البدن وطبيعته وتأثير ذلك في النفس والقلب أمر مشهور.

٨- التلطف بالمريض والرفق به.

٩- أن يستعمل علاجات منها التخييل. إن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً لا يصل إليها الدواء، ويقصد بالتخييل الإيحاء وهذا انما يذكرنا بأهمية التعامل مع المريض وطمأنته وهو أمر ضروري لدعم أجهزة الوقاية والمناعة في البدن.

١٠- على الطبيب أن يجعل علاجه وتدبيره دائراً على ستة أركان: حفظ الصحة الموجودة، ورد الصحة المفقودة، وإزالة العلة أو تقليلها، واحتمال أدنى المصلحتين لإزالة أعظمهما، وتقريب أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما. فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج وكل طبيب لا تكون هذه أمنيته فليس بطبيب.

إذا رأى علامات الموت ينبّه على الوصيّة بلطف

ويلخص التاج السبكي رحمه الله آداب الطبيب فيقول: من حقه بذل النصح والرفق بالمريض، وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن ينبه على الوصية بلطف من القول، وله النظر إلى العورة عند الحاجة، وبقدر الحاجة. وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض واستعجاله في ذكر ما يصفه، وعدم فهمه مزاج المريض، وجلوسه لطب الناس دون استكمال الأهلية، ويجب أن يعتقد أن طبه لا يرد قضاء ولا قدراً. وأنه يفعل امتثالاً لأمر الشرع وأن الله تعالى أنزل الداء والدواء.

وقد أكد أبو بكر الرازي في حديثه عن أخلاق الطبيب هذه النقطة فقال: وليتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى ويتوقع البرء منه، ولا يحتسب قوته وعمله، ويعتمد

في كل أموره عليه.

فإن عمل بضد ذلك ونظر إلى نفسه وقوته في الصناعة وحذقه حرمه الله من البرء

واتقان الطبيب صنعته يدخل ضمن عموم الدعوة النبوية الكريمة: ﴿*إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه*﴾[١]. ومما نفهمه من قول النبي -ﷺ-: «**إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**»[٢] ففي الحديث تشجيع للبحث لاكتشاف الأدوية الفعالة وحث للطبيب على زيادة معارفه الطبية واتقان فنه. ولأن الإصابة منها تؤدي إلى الشفاء كما نفهم ذلك من قول النبي -ﷺ-: (فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله)[٣].

وقد علمنا رسول الله -ﷺ- أنه ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذق من فيها، فالأحذق إلى الإصابة أقرب. فقد ذكر الإمام مالك في موطئه عن زيد بن أسلم أن رجلاً من أصحاب النبي -ﷺ- جرح فحقن الدم. فدعا له رجلين من انمار فقال رسول الله -ﷺ-: أيكما أطب؟ فقال أحدهما أو الطب خير يا رسول الله؟ فقال: *(إن الذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواء)*[٤]. روى الحديث أيضاً عبد الملك بن حبيب[٥] عن أصحاب مالك الذين لقيهم في المدينة وزاد أحدهما قال: (أنا أطب الرجلين. فأمره رسول الله -ﷺ- بمداوته فبط بطنه واستخرج منه النصل ثم خاطه).

ومن واجبات الطبيب المسلم النجدة لتفريج كربة المريض وتلبية الواجب لإسعافه ليلاً ونهاراً لقول النبي -ﷺ-: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة) رواه مسلم.

يعالج ويطلب الشفاء من الله

وعلى الطبيب أن يبدأ المعاينة والعمل الجراحي أو الوصفة بقوله: (بسم الله أو بسم الله الرحمن الرحيم) لقول النبي -ﷺ-:(كل عمل ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع)[٦].

طبّه لا يرد قضاءً ولا قدراً

ومن واجب الطبيب بذل النصح للمريض. وأن يقصد بعمله نفع الخلق والإحسان إليهم.

ومن النصيحة للمريض أن يجتهد في وصف الدواء الأنسب وأن يحفظ ماله، فلا يصف له دواء غير نافع في مرضه، أو يطلب له تحليلاً أو فحوصات لمجرد أن ينتفع هو أو ينفع مختبراً فيتعاون معه ليقبض عمولة مثلاً. فكل هذه الأمور هي خيانة للمريض ونقض للأمانة التي في عنق الطبيب من النصح له. يقول النبي -ﷺ-: (إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا)[٧] ومن هذا حفظ عرض مريضه فلا يكشف من عورته إلا ما تستدعيه الحاجة والمعاينة الطبية.

ومن النصيحة للمريض أن لا يقدم على معالجته في كل حال يتغير منها خلقه، فلا يعالج وهو منزعج، ولا هو على عجلة من أمره ولا وهو غضبان. وقد قاسوا ذلك من أمر الطبيب على ما صح عنه -ﷺ- (عن نهيه للقاضي أن يقضي وهو غضبان)[٨]. فهذه حالات تخرج المرء عن أن يحكم بسداد النظر. ويستثنى من ذلك من لو كانت حالته تستدعي السرعة في العلاج.

ومن النصيحة للمريض أن يمضي معه، أو مع أهله، وقتاً كافياً، ليس فقط ما تستدعيه المعاينة الطبية، بل ليستوعب الوضع الاجتماعي والروحي للمريض، والذي هو جسد وعقل ونفس.

فعلى الطبيب أن يلمسه برفق وأن يصوغ كلماته بأسلوب إنساني تغلفه الرحمة وأن يحسن الإصغاء إليه وأن يسكن من روعه ويبعث في نفسه السكينة والطمأنينة، اللذان يشدان من عزيمة المريض ويرفعا روحه المعنوية ويقويا وسائل المناعة في جسمه مما يجعلهما عاملاً في الشفاء.

وعلى الطبيب أن لا يتوانى عن إرسال مريضه إلى مختص، أو عمل لجنة استشارية

له إذا كانت حالته تستدعي ذلك قياماً منه بالأمانة والنصيحة المطلوبين منه شرعاً، وعليه أن يبتعد عن غيبة الناس وخاصة زملاءه من الأطباء أو تجريحهم.

ويجب على الطبيب أن يكتم سر مريضه لقول النبي -ﷺ-: (المستشار مؤتمن)[٩] إلا أن يخل هذا الكتمان بمصلحة المريض بالذات أو بمصلحة الجماعة. يقول أبو بكر الرازي: واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس حافظاً لغيبهم، كتوماً لأسرارهم، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه عن أخص الناس به، وإنما يكتمونه خصوصياتهم ويفشون إلى الطبيب ضرورة، وإذا عالج من نسائه أو جواريه أحداً فيجب أن يحفظ طرفه ولا يجاوز موضع العلة.

يبدأ المعاينة أو الجراحة باسم الله

وعلى الطبيب أن يعلم الحرام والحلال فيما يختص بمهنته فلا يصف دواء محرماً إلا إذا انحصر الشفاء فيه لقول النبي -ﷺ-:(ولا تداووا بحرام) ولقوله سبحانه (وقد بين لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه)[١٠] ومن ذلك أن يمتنع عن الإجهاض المحرم أو أن ينهي حياة مريضه الميؤوس من شفائه بأي وسيلة كانت لقوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) بل عليه أن يعمد إلى تخفيف آلامه وتهدئة نفسه حتى تأتي أجله.

يمضي مع المريض وأهله الوقت الكافي لفهم أحوال المريض

وعلمه بالحلال والحرام، واتقانه لفنه يجعله يخشى الله في فتاويه لمرضاه كأن لا يفتي لمريض بالأفطار في رمضان وهو يعلم أن مريضه لا يتأثر بالصيام وقد يستفيد منه.

ومن أدب الطبيب الدعاء لمريضه وفي هذا مواساة له بالكلمة الطيبة كقوله معافى أو عافاك الله أو بدعاء مأثور. فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن النبي -ﷺ- دخل على أعرابي يعوده وهو محموم، فقال -ﷺ-: (كفارة وطهور)[١١] ففي الدعاء للمريض تذكير له بخالق الداء والدواء حتى تبقى نفسه هادئة مطمئنة بالالتجاء إلى الله والتوكل عليه.

ويختلف الأطباء في تعاملهم مع مريض ميؤوس من شفائه كمصاب بسرطان مثلاً، فهناك من يفتح له الأمل ويرجيه الشفاء وقد يكذب عليه، وهناك من يواجه مريضه بالحقيقة سافرة، وهناك من يداري ويواري، فما هو رأي الشرع الإسلامي؟

الدكتور النسيمي يرى أن على الطبيب أن يكون لبقاً في تعريف المريض بمرضه ومحاولة تطمينه ورفع معنوياته، وكتم الإنذار بالخطر عنه، وإعلامه إلى ذويه المقربين، معتمداً على ما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي -ﷺ- قوله: (إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في الأجل فإن ذلك لا يرد شيئاً وهو يطيب نفس المريض)[١٢].

أما الدكتور زهير السباعي فيقول: الإسلام هنا لا يضع حدوداً ضيقة ولا يقف مواقف صلبة، إنما يطالب الطبيب بالحكمة وأن يلبس لكل حال لبوسها: فهناك المريض الذي تنهار مقاومته لو عرف حقيقة مرضه، وهناك المؤمن القوي الذي يستطيع أن يجابه مرضاه بنفس راضية، وهناك من يحتاج إلى أن يعرف أبعاد مشكلته حتى يلتزم بالحمية والعلاج.

إلا أن القاعدة الأساسية التي يرسمها الإسلام هي الصدق. ولكن أي صدق نتحدث عنه؟ وهل يعرف الطبيب متى ينتهي أجل مريضه؟... إنما الصدق في شرح المشكلة المرضية وليس في تقدير الأجل. فهناك صدق فج جاف لا يبالي بمشاعر المريض، وهناك صدق لحمته الحكمة والرحمة. ولعل من الحكمة أن يعتمد الطبيب في مصارحته لمريضه على العموميات لا أن يخوض في التفاصيل، وإذا كانت هناك مضاعفات حقيقية فعليه أن يشرحها لذوي المريض حتى لا يتهم يوماً بالإهمال.

أما قيس بن محمد آل الشيخ مبارك فيرى أن المريض إذا كان قاصراً أو صغيراً فيجب عدم إخباره، لأن

القاصر لا يملك أمر نفسه وعلى الطبيب أن يخبر وليه الذي أذن له في علاجه، كما أن الصغير مظنة للسخط إنما البالغ العاقل فلا شك في أن الواجب الشرعي يقتضي إخباره بكل ما يتعلق بصحته من معلومات، ومصدر الوجوب العقد الذي جرى بينهما.. ثم يقول: وأما ما يخشاه الطبيب من أن تزداد حالة مريضه سوءاً إذا علم بحقيقة الأمر فلا يكون مانعاً له أن يخبر المريض لسببين: الأول أن الطبيب قد ألزم نفسه في عقد الإجارة بذلك فلا يجوز له نقض العهد. والثاني أن عقيدة القضاء والقدر تعصم المسلم من الوقع في الاضطراب والانزعاج، والمسلم مأمور بالصبر والتسليم لأمر الله.

على الطبيب أن يعلم الحلال والحرام

إلا أن قيس بن محمد يعود في نهاية بحثه فيقول: إلا أنه يمكن للطبيب وقد لاحظ عدم إمكانية إخبار مريضه، فيجوز أن يخبر بذلك أهله وأقاربه ليتولوا هم إخباره، إلا أن عليه أن يختار التعابير المناسبة. وكما يقول الإمام السبكي وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن ينبه على الوصية بلطف من القول.

مواساة المريض والدعاء له

ومن أدب الطبيب أن يكون حسن المظهر. إذ يجب أن يكون لباسه جميلاً ونظيفاً ومتناسقاً مع الوظيفة التي أناطها الله به. ومن هذا أيضاً أن يحافظ على صحته، فإنه إذا عدم الصحة كان محلاً لعدم الثقة والنفرة من المرضى.

تطبيب الجنس للجنس الآخر

عن الربيع بنت معوذ قالت: (كنا مع النبي -ﷺ- نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة)[١٣]. قال ابن حجر: وفي الحديث دليل على جواز معالجة الأجنبية الرجل عند الضرورة وقال في باب هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل. أما حكم المسألة فتجوز مداواة الأجانب عند الضرورة وتقدر بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجس باليد وغير ذلك... والحديث يدل على مداواة النساء للرجال، فيؤخذ حكم مداواة الرجل المرأة منه بالقياس.

ولقد (كان رسول الله -ﷺ- في كل غزوة يسهم بين نسائه فأيها خرج السهم عليها خرجت معه. وكانت الصحابية المتطوعة للتمريض، يخيرها رسول الله -ﷺ- بين أن تكون في رفقة نساء قومها أو أن تكون في رفقة أم المؤمنين التي كانت قرعتها في الخروج معه عليه السلام ولقد اشتهرت رفيدة الأنصارية)[١٤] بمداواة الجرحى في العهد النبوي، ولقد جعل لها رسول الله -ﷺ- خيمة ضمن مسجده الشريف، كانت كمستشفى ميداني لمعالجة الجرحى في غزوة الخندق.

ويوضح الدكتور النسيمي هذه النقطة بقوله: الأصل عدم جواز معاينة ومداواة الرجل المرأة غير المحرم أو العكس لوجود النظر والجس فيهما. ويستثنى من ذلك حالات الضرورة كعدم توفر طبيبة تثق المريضة في مهارتها، أو لعدم توفر طبيبة في ذلك الاختصاص، أو لحاجة المسلمين إلى الرجال من أجل الجهاد.

أدب عيادة المريض

وهي من الآداب الإسلامية التي يخاطب بها عموم المسلمين، ويخص بها الطبيب لاتصاله المباشر بالمرضى. والطبيب علاوة على كونه يؤدي مهمته، فإن التزامه بهذه الآداب هي من تمام حق المسلم على أخيه وبذلك يكون أداؤه لمهمته أكمل وأتم.

وعيادة المريض هدي نبوي كريم وأدب ديني للأمر بها والأجر والفضل عليها:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله -ﷺ- بعيادة المريض)[١٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال: (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس)[١٦]

وعن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله -ﷺ- قال: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم

تعدني قال يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده)[١٧].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي -ﷺ- قال: (إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع. قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال: جناها)[١٨].

وقد سن للزائر أن يدعو للمريض بالشفاء، وفي الدعاء له قول خير وتطييب لنفسه وتنبيه له للالتجاء إلى الله تعالى مزيل البأس ومالك الشفاء فيكتسب المريض مزيداً من الطمأنينة. عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله -ﷺ- إذا أتى المريض يدعو له قال:(أذهب البأس رب الناس، أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)[١٩]. وعن ابن عباس أن النبي -ﷺ- دخل على أعرابي يعوده قال:(لا بأس طهور إن شاء الله)[٢٠].

هل يصارح المريض الميؤوس من شفائه؟

وقد لفت نبي الرحمة -ﷺ- الانتباه إلى ناحية هامة عند زيارة المريض، سواء كان الزائر طبيباً أم قريباً أم صديقاً وهي ألا يتكلموا في حضرة المريض بما يثير مخاوفه أو يأسه بل عليهم أن يفعلوا ما يطيب نفسه ويدخل عليه السرور والبهجة عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي -ﷺ- قال:(إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)[٢١].

كما اهتم ديننا الحنيف بإدخال الطمأنينة على المريض وزيادة أمله في الشفاء فلقد علق ابن القيم على قول النبي -ﷺ- لكل داء دواء فقال: (في هذا الحديث تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب الدواء، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيد تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس).

ومن هنا نفهم كيف حول الإسلام عيادة المريض من زيارة عابرة ليجعل منها علاجاً روحياً يرفع من معنويات المريض ويقوي أمله في الشفاء، فضلاً عن تحقيق الرعاية والمؤانسة له، وشد أزر أهله وذويه، فصلى الله وسلم على معلّم الناس الخير.

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.55a.net

[١] رواه البيهقي.
[٢] رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني ورجاله ثقات مجمع الزوائد.
[٣] رواه مسلم.
[٤] الحديث مرسل، لكن مرسله زيد بن اسلم من كبار التابعين، ومرسلاته صحيحة عند المحدثين.
[٥] في كتابه الطب النبوي.
[٦] رواه السيوطي عن أبي هريرة واسناده حسن.
[٧] رواه البخاري.
[٨] رواه البخاري ومسلم.
[٩] رواه الترمذي.
[١٠] وقد فصلنا ذلك في بحثنا عن التداوي بالمحرمات.
[١١] رواه البخاري.
[١٢] رواه الترمذي وابن ماجه وفي سنده إبراهيم التميمي وهو منكر الحديث الارناؤوط.
[١٣] رواه البخاري
[١٤] عن أسد الغابة والأجر في معرفة الصحابة
[١٥] رواه البخاري ومسلم.
[١٦] رواه البخاري ومسلم.
[١٧] رواه مسلم.
[١٨] رواه البخاري
[١٩] رواه مسلم.
[٢٠] رواه مسلم.
[٢١] رواه مسلم

مراجع البحث:

١- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: أخلاق الطبيب تحقيق عبد اللطيف محمد العبد – القاهرة ١٩٧٧.
٢- ابن قيم الجوزية: الطب النبوي
٣- عبد الملك بن حبيب الاندلسي: الطب النبوي تحقيق محمد علي البار، دمشق: ١٩٩٣.
٤- ابن حجر العسقلاني: فتح والباري في شرح صحيح البخاري.
٥- الدكتور أحمد شوكت الشطي: الوجيز في الإسلام والطب – دمشق: ١٩٦٠.
٦- الدكتور محمود ناظم النسيمي: الطب النبوي و العلم الحديث ج٣، بيروت: ١٩٩٢.
٧- د. زهير أحمد السباعي ود. محمد علي البار: الطبيب أدبه وفقهه دمشق: ١٩٩٣.
٨- قيس بن محمد آل الشيخ مبارك: التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية دمشق ١٩٩١.
٩- د. عبد الستار أبو غدة: فقه الطبيب وأدبه عن أعمال المؤتمر العالمي الأول للطب الإسلامي – الكويت ١٩٨١.

من الإشارات الكونية في القرآن الكريم... ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

أ.د. مسلم شلتوت*

يطلق اسم سماء على كل ما علا وارتفع فوق رؤوسنا، وعلى ذلك يكون سقف الأرض (...) هو الغلاف الجوي الذي تمسكه الأرض وتحتفظ به وتحول دون تسربه إلى خضم الفضاء الكوني بقبضة جاذبيتها الكبيرة، بينما يندفع الهواء إلى اعلى لكي ينطلق إلى الفضاء الكوني لأن خصائص الغازات الانتشار إلى الفضاء الذي تتعرض له وتتساوى قوة اندفاع الهواء إلى أعلى مع قوة جذب الأرض إلى أسفل فيظل الغلاف الجوي مرفوعًا إلى ما شاء الله، وصدق الله العظيم ﴿ *الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها* ﴾ (الرعد:٢) اما القبة الزرقاء فهي ناجمة عن تشتت اشعة الشمس بوفرة وغزارة في طبقات الهواء الكثيفة نسبيًا قرب سطح الأرض إلى علو نحو ٢٠٠ كيلو مترا.

أولاً- الطبقات الجوية:

قال تعالى: ﴿ *ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين* ﴾ (سورة المؤمنون:١٧) *والطرائق تقال للطبقات التي بعضها فوق بعض، يقال طرقت الشيء أي جعل بعضه فوق بعض (تفسير القرطبي) وفي العام ١٩٢٢ أتى العلم ليؤكد ما عرفه الاسلام قبل قرون طويلة حين قررت المنظمة الدولية للأرصاد الجوية WMO وصف الغلاف الجوي البالغ سمكه ٣٥ ألف كيلو مترا وذلك عن طريق تقسيمه إلى الطبقات التالية:*

١- طبقة التروبو سفير Troposphere

وهي الطبقة الملاصقة لسطح الأرض ويبلغ متوسط ارتفاعها حوالى ١١ كيلومترا فوق سطح البحر، وتسمى بالطبقة المناخية لأنها الطبقة المؤثرة في تغيرات المناخ، وفيها تحدث كافة الظواهر الجوية، كالأمطار والسحاب والرياح والضباب والعواصف الرعدية والترابية والاضطراب في الطقس والمناخ. وتحتوى على معظم بخار الماء الموجود في الغلاف الجوى، وكتلة الهواء الموجودة في هذه الطبقة تعادل ٨٠٪ من كتلة الغلاف الجوى باكمله وتقل درجة حرارة الهواء وكثافته وضغطه والجزئيات الثقيلة كلما ارتفعنا لأعلى.

٢- طبقة الأستراتوسفير Stratosphere

يتراوح ارتفاع هذه الطبقة ما بين ١١ كيلو مترا إلى حوالى ٥٠ كيلومتر فوق سطح البحر. وتتميز هذه الطبقة بالاستقرار التام في جوها، حيث ينعدم بخار الماء فيها وتخلو من الظواهر الجوية وتحتوي هذه الطبقة على طبقة غاز الأوزون وهو جزيء مكون من ثلاث ذرات اكسيجن وله القدرة على امتصاص ٩٩٪ من الأشعة فوق البنفسجية المهلكة الصادرة من الشمس. ويتراوح ارتفاع غاز الأوزون داخل طبقة الستراتو سفير بين ٢٠و٣٠ كيلومتر فوق سطح البحر.

وتشكل طبقة الأزونوسفير داخل الستراتوسفير حزامًا واقيًا يجنب الإنسان والحيوان والنبات مضار الأشعة فوق البنفسجية والتي إذا تعرض الإنسان لها بالذات فإنه يصاب بسرطان الجلد، بالإضافة إلى عتامة عدسة العين، وتقليل المناعة للإنسان مما يجعله عرضة للأمراض المعدية. وغاز الأوزون غاز سام لذلك يستخدم في عمليات التعقيم بدلا من الكلور، ولا يستطيع الإنسان تنفسه لأنه يؤدي إلى تدمير الرئتين تمامًا. بينما جزئ الأكسجين والذي يحتوي على ذرتي أكسجين هو اللازم لتنفس الإنسان ولكن ليس له أي قدرة على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس والمهلكة. وتزداد الحرارة كلما ارتفعت داخل طبقة الأستراتو سفير نتيجة لامتصاص الأوزون للأشعة فوق البنفسجية للشمس.

٣- طبقة الميزوسفير Mesosphere

وهي الطبقة التي تعلو الاستراتو سفير ويتراوح ارتفاعها من ٥٠ كيلو مترا إلى ٨٥ كيلو مترا فوق سطح البحر. وتتميز هذه الطبقة بتناقص مستمر في درجات الحرارة مع الارتفاع فوق سطح البحر حتى تصبح درجة الحرارة في أعلى هذه الطبقة منخفضة جدًا (حوالى ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر)، وهي أقل طبقات الغلاف الجوي في درجة حرارتها

٤- طبقة الترموسفير Thermosphere

بعد غزو الفضاء أوضحت أرصاد الصواريخ والأقمار الصناعية أن درجة حرارة الطبقة الممتدة من على ارتفاع ٨٠ كيلو مترا حتى ٢٠٠ كيلو مترا فوق سطح البحر تتراوح ما بين ١٨٠ كلفن حتى ١٨٠٠كلفن وسبب هذه الزيادة في الحرارة هو امتصاص المكونات الجوية في هذه الطبقة للأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة العالية والسماة XUV او EUV، وقد تنفذ الجسيمات عالية الطاقة في المجال المغناطيسي للأرض، وتتفاعل مع أعلى الغلاف الجوي مولدة حرارة إضافية.

٥- طبقة الأيونوسفير: Ionosphere

تمتد هذه الطبقة من ارتفاع ٨٥ كيلو مترا إلى حوالى ٧٠٠ كيلو مترا فوق سطح البحر، وهي تحتوي على كميات كبيرة من الاكسجين والنيتروجين المتأين والإلكترونات الحرة بعد تأين جزئيات الاكسجين والنيتروجين المتعادلة بفعل اللأشعة السينية x-ray الصادرة من الشمس. وهي مقسمة إلى ثلاث طبقات داخلية D.E.F لكل منها خصائصه المميزة وتتغير سمكها بتغير الليل والنهار وبتغير الفصول والنشاط في الشمس (البقع والانفجارات الشمسية).

٦- طبقة الإكسوسفير Exosphere

يتراوح ارتفاع هذه الطبقة من حوالى ٧٠٠ كيلو مترا إلى ٣٥,٠٠٠ كيلو مترا فوق سطح البحر. وهي قليلة الكثافة لذلك فإن الجزيئات في هذه الطبقة تكون لها حرية في الحركة تسمح بهروبها من الغلاف الجوي للأرض إذا كانت سرعتها الحرارية أكبر من السرعة الحرجة اللازمة للتغلب على جاذبية الأرض ومن الطبيعي أن تتركز جزئيات الغازات الخفيفة مثل الهيدروجين والهيليوم في طبقات الجو العليا وبسرعات عالية.

٧- الماجنتوسفير: Magnetosphere

يمتد المجال المغناطيسي للأرض الذي يشكل غلافا حولها إلى مسافة ٥٠,٠٠٠ كيلومتر وقد اكتشفه عالم الفضاء الأمريكي فان الن بعد غزو الفضاء عام ١٩٦٥. ويقوم هذا الغلاف المغناطيسي إما بصد الجسيمات المشحونة القادمة من الفضاء الخارجي أو اصطيادها واقتيادها ناحية قطبي الأرض المغناطيسي. وقد أطلقت على هذه الأحزمة الإشعاعية أحزمة فان الن: حيث بينت سفينتا الفضاء الأمريكية Explorer الأولى والثانية عام ١٩٥٨ وجود نوعين من الأحزمة الإشعاعية على هيئة حلقتين تتطابق مع المستوى الاستوائي المغناطيسي للأرض. ويقع الحزام الإشعاعي الداخلي على مسافة ألفي كيلومتر فوق سطح البحر. لذلك فلا بد أن يكون رواد الفضاء في مناطق بعيدة عن هذا الحزام واعتبر الارتفاع أقل من ٤٠٠ كيلو مترا فوق سطح البحر بداية الأمان لارتياد الفضاء من البشر. وقد ساعدت سفن الفضاء والأقمار الصناعية على فهم أعمق لنا عن هذه الطبقة الهامة (...) قال تعالى: ﴿*فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ (سورة فصلت: ١٢)

الغلاف الجوي للأرض من نعم الله

من نعم الله أن خلق غلافًا جويًا للأرض فرغم مهامه المتعددة إلا أن هناك أهمية كبيرة في حماية المخلوقات على الأرض من تلك الأجسام التائهة في الفضاء، والتي في الغالب هي حطام لإحدى كواكب المجموعة الشمسية منذ زمن سحيق وتتراوح كتلتها ما بين الجرامات إلى ملايين الأطنان والتي تجذبها الأرض إليها بفعل جاذبيتها الكبيرة إذا كانت هذه الأجسام التائهة على مسافة قريبة نسبيًا من الأرض. ولولا وجود الغلاف الجوي للأرض لكانت حوادث ارتطام هذه الأجسام بسطح الأرض يقع في كل دقيقة وثانية مسببًا حفرات قد يتراوح قطرها من سنتيمترات إلى كيلومترات مع تحول الطاقة الميكانيكية لهذه الأجسام إلى طاقة حرارية هائلة بعد الارتطام، كما هو الحال على سطح القمر حيث لا يوجد له غلاف غازي وسوف تكون هذه إحدى المشكلات الكبيرة عن استعمار القمر كما يحلم البشر.

والغلاف الجوي للأرض يمنع وصول هذه الأجسام الفضائية الضالة للوصول لسطح الأرض وذلك نتيجة للسرعات العالية لهذه الأجسام عند دخولها للغلاف الجوى للأرض فينتج من احتكاكها بجزئيات الهواء حرارة عالية تؤدي إلى احتراق هذه الأجسام وفنائها وتلاشيها قبل وصولها لسطح الأرض وتسمى في هذه الحالة الشهب، إلا أن نسبة ضئيلة جدًا تستطيع الوصول إلى سطح الأرض والارتطام به وتسمى النيازك كما حدث في الحفرة الكبيرة بصحراء الأريزونا والحفر المسماة بحفر الوبر بالربع الخالي بالمملكة العربية السعودية والتي وجد بها أجزاء من نيازك معروضة حالية بمتحف التاريخ الطبيعي بلندن، كما أن المتحف الجيولوجي بكورنيش النيل بالمعادى بالقاهرة يحوي بعض النيازك الصغيرة التي تم العثور عليها بالصحاري المصرية.

كما أن الغلاف الجوي للأرض ليس نعمة من الله لحماية المخلوقات من الأجسام الفضائية الضالة فحسب ولكن أيضًا من حطام الصواريخ والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية التي انتهت مهمتها او فشلت في الابتعاد عن الأرض بقدر كاف - حيث تجذب الأرض قطع هذا الحطام لتنطلق بسرعات عالية داخل الغلاف الجوي لتحترق بالكامل او معظمها داخل الغلاف الجوي وقبل وصولها لسطح الأرض واحداث كوارث. وصدق الله العظيم في قوله الكريم ﴿*ألم تر أن الله سخر لكم*

ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ الحج: ٦٥

كذلك تعتبر طبقة الأوزون بالغلاف الجوي العلوي للأرض من نعم الله الكبيرة على الإنسان وسائر المخلوقات بالأرض، حيث لولا هذه الطبقة لتسللت إلينا أشعة الشمس فوق البنفسجية من النوع ج- (C) وهي اشعة ذات طاقة عالية يمكنها ان تهلك الحياة على الأرض بالكامل في أيام معدودة (...)

ثانيًا- ﴿السَّماء ذات الرَّجْع﴾ (سورة الطارق، ١١)

١- ترجع بخار الماء إلى الأرض مطرًا:

فسر البعض هذه الآية الكريمة على انه قسم من الله بالسماء ذات المطر الذي يعود ويتكرر وانها إشارة علمية في القرآن الكريم عن دورة الماء في الطبيعة، إلا أن هذه الآية الكريمة والمكونة من ثلاث كلمات فقط تحوي في مضمونها الكثير من الحقائق العلمية التي تم اكتشافها خلال القرن العشرين في ضوء علوم وتكنولوجيا الفضاء.

٢- ترجع معظم أشعة الشمس عن الأرض:

فالطبقة الأولى في الغلاف الجوي للأرض والسماة طبقة التروبوسفير والتي يصعد بداخلها بخار الماء نتيجة تبخير مياه البحر والمحيطات بأشعة الشمس حتى يكون في النهاية السحب السميكة التي ترتحل من مناطق الضغط المرتفع لمناطق الضغط المنخفض بفعل الرياح. هذه السحب تقوم بعكس (ترجيع) أشعة الشمس الساقطة عليها للفضاء الخارجي مرة ثانية بمقدار قد يصل إلى ٨٠ أو ٩٠٪ بجانب امتصاصها لجزء من هذه الأشعة وتشتيته ولولا هذا الانعكاس لأشعة الشمس بالسحب لارتفعت درجة حرارة سطح الأرض والتروبوسفير بدرجة عالية لا تسمح بقيام أو استمرار الحياة على الأرض. ويبلغ متوسط الأشعة المعكوسة للفضاء الخارجي نتيجة السحب وسطح الأرض والمياه بالبحار والمحيطات على مدار السنة بمقدار ٥٠٪ من أشعة الشمس الساقطة على الأرض.(...)

-3 ترجع الأشعة النووية للشمس عن الأرض:

وصورة أخرى للسماء ذات الرجع للفضاء الخارجي هي ما يسمى بالماجنتوسفير، فالشمس هي أقرب نجم للأرض وهي كرة هائلة من الغاز يفوق حجمها وكتلتها حجم وكتلة الأرض مئات المرات وكثافتها حوالى ربع كثافة الأرض ويتكون الغلاف الجوي للشمس من ثلاث طبقات رئيسية هي: الطبقة المرئية (الفوتوسفير) والطبقة الملونة (الكرموسفير) والإكليل (الكورونا) وفي الأحوال العادية عند رصد الشمس أثناء الشروق او الغروب بالعين المجردة أو بالتلسكوبات فإننا نرى فقط طبقة الفوتوسفير، أما الطبقتين الكرموسفير والإكليل فلا يمكن رؤيتها إلا أثناء الكسوف الكلي للشمس حيث تبدو طبقة الكروموسفير كحلقة حمراء تحيط بقرص الشمس المظلم نتيجة لإنحجابه وراء قرص القمر ويبدو الإكليل كهالة بيضاء، لؤلؤية قد تكون صغيرة إذا كان الكسوف في سنوات هدوء النشاط الشمسي وتبدو كبيرة في سنوات النشاط العالي وطبقة الإكليل رغم بعدها عن سطح الشمس الآن درجة حرارتها تزيد عن المليون درجة بينما درجة حرارة سطح الشمس لا تتجاوز ستة آلاف درجة كلفن. وهذا الارتفاع الشاذ في الحرارة نتيجة لتكسر الموجات الصوتية المنبعثة للغليان عند سطح الشمس على طبقة الإكليل وتحول الطاقة الحركية للموجات الصوتية إلى طاقة حرارية، وهذه الحرارة العالية للإكليل وتحول الطاقة الحركية للموجات الصوتية إلى طاقة حرارية، وهذه الحرارة العالية للإكليل تجعل المواد المكونة للإكليل في حالة بلازما ويتحول الهيدروجين والهليوم وهما المكونان الأساسيان إلى أيونات موجبة وبروتونات وإلكترونات ذات سرعات حرارية عالية مما يمكنها من الهروب من الإكليل إلى الفضاء الخارجي رغم جاذبية الشمس العالية جدا

هذه الدقائق المشحونة الهاربة من إكليل الشمس تسبح في الفضاء الخارجي لمسافات طويلة حتى تتجاوز أبعد كواكب المجموعة الشمسية (بلوتو) ثم إلى فضاء ما خارج المجموعة الشمسية وهي ما تسمى بالرياح الشمسية وتتوقف سرعة هذه الرياح ومكوناتها وكثافتها على حالة الشمس فهي في حالة هدوء النشاط الشمسي تكون لها سرعة حوالى من ثلاثمائة إلى سبعمائة كيلومتر في الثانية وكثافة تتراوح ما بين 11 إلى 10 جسيم لكل سم3 وفي حالة النشاط الشمسي ونتيجة لحدوث الانفجارات الشمسية في الغلاف الجوي للشمس فإن سرعة هذه الرياح تزداد إلى ألف كيلومتر ثانية كما تتضاعف كثافتها وتتغير نسب مكوناتها.

هذه الرياح الشمسية بدقائقها المشحونة وهي تشابه أشعة الفا وبيتا من الانفجارات الذرية والنووية على سطح الأرض.. أي أنها أشعة مهلكة لكل صور الحياة على الأرض.. ولولا رعاية الله ورحمته لهذه المخلوق الضعيف الذي خلقه الله وهو الإنسان.. لكان الجنس البشري وما يحيط به من بيئة حية في خبر كان.. تتجلى عظمة الله ورحمته بأن خلق حول الأرض درعا مغناطيسيا لا يمكن لهذه الدقائق المشحونة أن تخترقه بل تدور حوله إلى أن تذهب بعيدًا عن الأرض.. هذه الدرع هي طبقة المجنتوسفير أو ما يسمى بحزام فان الن الذي تم اكتشافه بعد غزو الفضاء في الستينيات بالقرن العشرين وهو امتداد لخطوط القوة المغناطيسية الخارجة من الأرض لآلاف الكيلومترات في الفضاء الخارجي المحيط بها ولا يمكن رؤيتها. وصدق الله العظيم ﴿*الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها*﴾ (الرعد: 2).

---

* للراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:

www nooran org

القيم الأخلاقية في السياسة المالية الإسلامية نموذج للإعجاز القرآني والنبوي في المجال المالي

الدكتور السيد عطية عبد الواحد*

مقدمة البحث

يؤسس الإسلام المجتمع على أصول ومبادئ تميزه عن غيره من النظم. فالإسلام يقوم على طريقة البناء المتكامل وإرساء الأسس السليمة: عقدية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية. وكلها تكوّن بناءً متجانساً متماسكاً يؤدي إلى مساعدة المجتمع أن يحرز أفضل النتائج. وهذه المنهجية المتكاملة يندر أن توجد في أي نظام اخر.

لقد أرسى الإسلام اخلاقيات عديدة في المجال المالي نكتفي بأن نذكر منها جانباً يقطع بإعجاز هذا المنهج الإلهي في المجال المالي فضلاً عن المجالات الأخرى.

المبحث الأول : الأمر بالدعاء لكل من يؤدي حق الزكاة

نص على هذا الخلق الكريم – الذي يندر أن يوجد في غير النظام الإسلامي – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ *خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: (اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى).

(...) يرتبط بهذه النصوص حقيقة شرعية معجزة في المجال المالي وهي توجيه محصل الزكاة بالدعاء بالبركة لمن يؤدى حق الزكاة.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: (وصل عليهم) أصل في فعل كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة.

أما عن حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: (اللهم صل عليهم)، فأتاه والد أبو أوفى بصدقته ، فقال: (اللهم صل على آل أبي أوفى).

قال جماعة من العلماء يدعوا أخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء لهذا الحديث. وأجيب عنه بأن أصل الصلاة الدعاء إلا انه يختلف بحسب المدعو له فصلاة النبي ﷺ على أمته دعاء لهم بالمغفرة وصلاة أمته دعاء له بزيادة القربة والزلفى ولذلك كانت لا تليق بغيره، وفيه دليل على أنه يستحب الدعاء عند أخذ الزكاة لمعطيها.

(...) كما يأمر الإسلام المصدق (محصل الزكاة) بحسن معاملة الممولين، فإنه يأمر كذلك الممولين بحسن معاملة المصدق. وهكذا يرسم الإسلام علاقة تبادلية رائعة بين الممول وإدارة الزكاة علاقة يتوجها التعاون المتبادل بين الطرفين.

لقد أمر ﷺ بحسن معاملة عامل الصدقة حتى يؤدي عمله وينصرف وهو راض ، فقال ﷺ (لا يصدر المصدق عنكم إلا وهو راض).

وجه الإعجاز:

يرسم الإسلام صورة رائعة للعلاقة بين الممول وإدارة

تحصيل الزكاة. فيؤمر محصل الزكاة بنصوص صريحة بأن يدعو بالبركة للمتصدق. وكذلك يؤمر الممول بحسن معاملة القائمين على إدارة الزكاة.

وهذه العلاقة الحسنة الطيبة بين عامل الزكاة وبين الممولين دعامة قوية من دعامات نجاح نظام الزكاة كنظام مالي، ومثل هذه العلاقة الحسنة يندر أن توجد بهذه الأخلاقيات في غير الزكاة

المبحث الثاني: اشتراط الحلّ في الإيرادات الإسلامية

يرشد إلى هذا الأساس الأخلاقي – الذي لا مثيل له في النظم الأخرى – آيات قرآنية متعددة، وكذلك الكثير من أحاديثه ﷺ.

النص المعجز:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ* ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ويرشد الرسول الكريم ﷺ إلى ضرورة الكسب الطيب بقوله: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل)

الحقيقة الشرعية المرتبطة بالنص:

يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) وعلماء التفسير على أن قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) خطاب لجميع أمة محمد ﷺ.

وقال ابن عباس أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فإن الله طيب لايقبل إلا طيباً ولهذا قال (ولاتيمموا الخبيث) أي تقصدوا الخبيث (منه تنفقون ولستم بآخذيه) أي لو

بين المحصل والمكلف صلة وأخلاق

اعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه.

وجه الإعجاز:

باستقراء ما سبق يتضح أن الإسلام يؤسس النظام الاقتصادي والاجتماعي على أساس احترام أسس ومبادئ مَعَيَّنَة، تشكل في مجملها دستور هذه الأمة ومن ذلك ضرورة أن تكون الإيرادات التي تعتمد عليها الدولة دائماً من مصدر حلال.

إن الإسلام يقيم مجتمعاته على أساس التكافل والتعاون الممثل في فريضة الزكاة وغيرها من الالتزامات المالية التي قررها الإسلام.

إن الدستور الذي يرسمه الإسلام في المجال الاقتصادي وكذلك في غيره من المجالات إنما هو دستور مظلل بظلال حبيبة اليفة، دستور يحترم الآداب النفسية والاجتماعية، والآداب التي تحول الزكاة عملاً تهذيبياً لنفس معطيها، وعملاً نافعا مربحا لآخذيها، وتحول المجتمع عن طريقها إلى أسرة يسودها التعاون والتكافل والتواد والتراحم، وترفع البشرية إلى مستوى كريم: المعطي فيه والآخذ على السواء.

المشرع الوضعي لا يشترط حلّ الإيرادات التي تحصل أو مشروعيتها:

لا يشترط فقهاء المالية العامة في التكاليف التي تخصم أن تكون قد أنفقت في غرض مشروع. ما دمنا لا نتمسك بمشروعية الربح الخاضع للضريبة. فالأرباح الناتجة عن عمليات غير مشروعة تخضع للضريبة سواء أكان مصدرها قانونيا أو غير قانوني. (...)

المبحث الثالث: التحذير من اصطفاء كرائم الأموال عند تحصيل الزكاة

يرشد إلى هذا الخلق الكريم السنة النبوية المطهرة ، وقد جاء ذلك في أكثر من حديث منها:

(عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال إنك تأتي قوماً من اهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في

كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. رواه الجماعة).

الحقيقة الشرعية المرتبطة بالنص:

ترشد الأحاديث السابقة إلى خلق رفيع في المجال المالي وهو ضرورة التوسط في اختيار المال الذي يشكل وعاء الزكاة. فلا ينبغي على المحصل أن يطلب أفضل الأموال ولا أقلها جودة، وإنما يتوسط في ذلك، وفي ذلك مراعاة حقيقية لظروف الممول

وقوله ﷺ (فإياك وكرائم أموالهم) كرائم منصوب بفعل مضمر لايجوز إظهاره والكرائم جمع كريمة أي نفيسة (وفيه دليل) على أنه لا يجوز للمصدق أخذ خيار المال، لأن الزكاة لمواساة الفقراء، فلا يناسب ذلك الإجحاف بالمالك إلا برضاه.

وجه الإعجاز:

تنطق النصوص السابقة بإعجاز في النص النبوي الشريف لا يمكن أن تصل إليه بحال من الأحوال التشريعات الضريبية المعاصرة، والتي تقرر حق الامتياز لدين الضريبة، أما المنهج الإسلامي فإنه يأمر محصل الزكاة بأن يأخذ مالاً من أوسط الأموال التي يمتلكها الممول.

إن مراعاة المنهج الإسلامي – على طول الخط – لفطرة الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمالية وغيرها من مجالات الحياة لهو دليل حقيقي على سمو هذا المنهج ورقي ذلك التشريع، وبنفس الدرجة يشكل دعامة قوية لنجاح النظام المالي الإسلامي

موقف القانون الوضعي:

يتجه المشرع الوضعي في تحصيل الضريبة اتجاها يغاير تماما المنهج الإسلامي فالإسلام يحرص على بث روح السماحة والألفة والمودة عند تحصيل الزكاة أما المشرع الضريبي الوضعي فإنه يعطي للضريبة أولوية وامتيازا على غيرها من الحقوق.

لا انفاق الا من كسب طيّب

المبحث الرابع: خلق الترفع عن الأخذ من المال العام حتى ولو كان حقاً مقرراً

النص المعجز: ما رواه البخاري من أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال « سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم «إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوه نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولايشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى. ثم قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.

الحقيقة الشرعية المرتبطة بالنص:

يؤدي الأساس العقدي الذي تقوم عليه السياسة المالية الإسلامية دوراً جوهرياً في نجاح السياسة المالية الإسلامية في تحقيقها لأهدافها ويظل هذا الأساس مؤدياً دوره حتى يصل إلى مستوي الترفع عن الأخذ مما هو مقرر له من الحقوق المالية وتظل المثل الإسلامية تؤدي دورها في خدمة السياسة المالية الإسلامية ومساعدتها على تحقيق أهدافها حتى تصل بالفرد المسلم إلي أن يترفع عن أن يأخذ مما هو حق مقرر له في حصيلتها ويفضل العمل على ذلك، ولعل ذلك هدف يصعب أن يصل إليه أي تشريع آخرغير التشريع الإسلامي.

وجه الإعجاز:

إن التربية الإسلامية التي يتربى عليها المسلم تجعله يصل إلى مرتبة يترفع معها أن يأخذ مما هو مقرر له في حصيلة السياسة المالية

الإسلامية، ونعتقد أن هذا الهدف يصعب على أي نظام مالي اخر أن يصل إليه بسبب افتقاده للأساس العقدي الذي يتمحور حوله النظام المالي الإسلامي.

الأساس العقدي يجعل المسلم يجود بأفضل أمواله:

إن التربية الإسلامية لا تصل بالمسلم لأن يترفع فقط عن الأخذ من المال العام ولو كان حقاً مقرراً له بل تصل به أن يجود بأجود أمواله وأنفسها في سبيل الله تعالى، وهو في كل ذلك يستجيب للنداء الإلهي المتمثل في قوله سبحانه وتعالى ﴿ *لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم* ﴾.

الاسلام حريص على مال المزكي

المبحث الخامس: أهداف تنفرد السياسة المالية الإسلامية بتحقيقها ولا مثيل لها في المالية الوضعية (هدف تنمية الخصال الحميدة في المجتمع)

النص المعجز:

١- قوله ﷺ: (ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى، قال: صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة).

٢- (عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لاتحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله، او ابن السبيل، او جار فقير يتصدق عليه فيهدي لك أو يدعوك، (رواه أبو داود).

وفي لفظ: (لاتحل الصدقة إلا لخمسة: لعامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غاز في سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه بها فأهدي منها لغني) (رواه أبو داود وابن ماجه).

الحقيقة الشرعية المرتبطة بالنص:

من تمام حرص الإسلام على تنمية الخصال الحميدة داخل المجتمع المسلم، أنه أباح أن يعطي من الزكاة من غرم في سبيل الإصلاح بين متخاصمين وذلك حتى لا تموت الخصال الحميدة في المجتمع المسلم، بل وجب على المجتمع أن يتعهد تلك الطاقات بالتنمية والتشجيع بكافة الصور.

لايوجد في أي شريعة أخرى من يرفض أجره

وقوله ﷺ (حَمَالة) بفتح الحاء المهملة وهو مايتحمله الإنسان ويلتزمه في ذمته بالاستدانة ليدفعه في إصلاح ذات البين، وإنما تحل له المسألة بسببه، ويعطي من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية وإلى هذا ذهب الحسن البصري والباقر والهادي وأبو العباس وأبو طالب. وروي عن الفقهاء الأربعة والمؤيد بالله أنه يعان لأن الآية لم تفصل وشرط بعضهم أن الحمالة لا بد أن تكون لتسكين فتنة.

وبالإضافة لما سبق فإن لهذه الوظيفة جانباً اقتصادياً هاماً (وهو المساهمة في زيادة الإنتاج والمساعدة في تمويل التنمية الاقتصادية)، ويظهر ذلك حينما ينفق من حصيلة الزكاة لسداد ديون الغارمين ،فإن هذا يعني أن بيت المال يضمن للدائن وفاء دينه، وفي هذا دعم للائتمان لأن المقترض في غير معصية للقيام بتجارة أو صناعة أو فلاحة سوف يطمئن إلى أنه إذا عجز عن سداد دينه، فإن المجتمع ممثلاً في الدولة سوف يؤدي عنه دينه.

وجه الإعجاز:

إن السياسة المالية الإسلامية نظراً لقيامها على أساس عقدي، فإنه يمكن أن تذهب في تحقيق أهدافها لمدى يصعب أن تصل إليه المالية الوضعية. فمن مظاهر الإعجاز في المجالين المالي والاقتصادي أن السياسة المالية الإسلامية تعتبر أن من الأهداف المنوط بها تحقيقها هدف الإصلاح بين المتخاصمين، وفي تحقيق هذا الهدف نشر للسلام الاجتماعي في المجتمع. كذلك تستطيع السياسة المالية الإسلامية أن تذهب لتحقيق أهداف متعددة يصعب على السياسة المالية الوضعية أن تصل إليها، مثل هدف تزويج من يريد أن يتزوج وغير ذلك من الأهداف الاجتماعية.

* أستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.55a.net

طبقة الأوزون.. ورجع السماء وزرقتها

أ.د. خالد حسين*

المحطة الفضائية العالمية

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿*والسماء ذات الرجع*﴾ / الطارق آية ١١

إن من أوجه الرجع للسماء ما تردّه طبقة الاوزون من إشعاعات ضارة للحياة على الأرض.

لم تعد قضية الأوزون مشكلة محلية او اقليمية، بل اصبحت شأنا عالميا، يحتاج الى تضافر الجهود لمواجهة الأخطار التي قد يحملها المستقبل... وقد يتسائل البعض: لماذا كل هذا الاهتمام العالمي بقضية الأوزون؟ وتكمن الاجابة في مدى خطورة الآثار الصحية والبيئية، لا على الانسان وحده، بل على الحيوان والنبات والنظم البيئية الأخرى.

الأوزون عبارة عن غاز سامّ ازرق باهت له رائحة مميزة وكريهة يتكوّن جزيئه من ثلاث ذرات أوكسجين وصيغته الكيميائية O_3 ويعتبر العالم «ماتينوس فان ماركوس» أول من اكتشف وحضّر الأوزون عام ١٧٥٨م، ثم حضّره «كريستيان سشونبين» في عام ١٨٦٠م وأطلق عليه اسم «الأوزون». وقد عرف لأول مرة عن طريق رائحته الحادة والمزعجة التي غالبا ما تلاحظ قرب المفاتيح الكهربائية ولون الأوزون الأزرق يملأ صفحة السماء على ارتفاع يتراوح بين ٢٠ و٦٠ كلم في الجو

المحيط بالأرض خاصّة وأنّ أعلى تبعثر للضوء المرئي يحدث عند الطول الموجي للون الأزرق في جوّ السماء.

يتكوّن الأوزون بطريقتين:

- **طبيعية:** نتيجة التفريغ الكهربائي الناتج عن طريق البرق أو بتأثير الأشعة فوق البنفسجية على الأوكسجين العادي في طبقة الأوزون الذي يبعثر الضوء الأزرق في الطيف الضوئي فتبدو السماء زرقاء.
- **صناعية:** عن طريق التفريغ الكهربائي الناتج من آلة توليد الأوزون: $O + O_2 \rightarrow O_3$

في آلات التصوير مثلا. ان وجود الأوزون الأزرق في طبقات الجو العليا يعتبر عاملا رئيسيا للحفاظ على الحياة واستمرارها. اذ يعمل كحاجب واق للأرض من ٩٥٪ الى ٩٩٪ من أشعة الشمس فوق البنفسجية المسببة لسرطان الجلد اذا ما تعرض لها الانسان بكثرة. وهو أي الأوزون الأزرق في حالة توازن ديناميكي، حيث يتعرض لعمليّتي البناء والهدم بصورة مستمرة ومتوازنة ومتساوية في المقدار وذلك في الظروف الطبيعية، ويمثّل هذا التوازن سنّة كونية حتى تستقر الحياة غير ان الملوثات البيئية التي تنشأ عن الصناعة والأنشطة البشرية ذات المنفعة المادية تؤدي الى الاخلال بهذا التوازن الكوني الذي نتج عنه حدوث ثقوب الأوزون بسبب التدخل البشري السالب.

ان استنزاف طبقة الأوزون قد يؤدي الى تسرب الاشعاعات الكونية على الأرض (أشعة غاما وغيرها) بكميات كبيرة والتي تحتوي على جسيمات مشحونة قادرة على ابادة الحياة على وجه الأرض. ان كثرة التعرض لتلك الاشعاعات تؤدي للاصابة بسرطان الجلد، كما أن الكميات المتزايدة من الأشعة فوق البنفسجية، والتي تخترق طبقة الأوزون، تضعف كريات الدم البيضاء مما يؤدي الى التأثير على الجهاز المناعي لجسم الانسان. ولا تقتصر أضرار الأشعة على الانسان فقط، وانما تؤثر على الكائنات الحية الاخرى كالنباتات والحيوانات. ومن ناحية أخرى فهناك مخاوف من أن زيادة نفاذ الأشعة فوق البنفسجية للأرض سيزيد من معدل درجة حرارة سطح الأرض وبالتالي يؤدي ذلك الى ما يعرف بظاهرة الاحتباس الحراري مما يؤدي لانصهار الجليد في القطبين وبالتالي ارتفاع مستوى البحار وغرق بعض الشواطئ. الا أن الحفاظ على حزام الأوزون في الجو يشكّل ضمانة لرجع السماء الضار للحياة على الأرض.

ثقوب الاوزون تقلل من زرقة السماء

أعرب العلماء عن قلقهم من أن المركبات الكيميائية المسمّاة «الكلوروفلوروكربون (CFC) (في انظمة التبريد)» هي المسؤولة عن خرق طبقة الأوزون الواقية للأرض. فعندما ينبعث هذا المركب ويصعد ببطء في الهواء ليصل الى طبقات الجو العليا تقوم أشعة الشمس فوق البنفسجية بتفكيك هذا المركب الى أجزاء يتفاعل بعضها مع الأوزون الموجود في تلك الطبقة، وبذلك يقلل من كمية الأوزون ويكسر التوازن ويضعف زرقة السماء عند الثقوب ويقلل من رجع الاشعاعات الضارة

وقد أجريت دراسة معمّقة مع فريق من زملائي في فرنسا عن الأوزون ودورته في الجو المحيط بالأرض واثبتنا بأن دورة الغازين (O_3) و(O_2) تتغيّر وفقا لتغيّر درجة الحرارة في الجو ويزداد الامتصاص تبعا لتغيّر حرارة الجو على ارتفاع يتراوح بين ٢٠ و٦٠ كلم فوق سطح الأرض على درجة حرارة (-٢٠ تحت الصفر و-٩٠ C^o لذلك ومن أجل مكافحة ظاهرة ثقوب الأوزون، فان الحظر الدولي على المنتجات الكيماوية، التي تؤثر على طبقة الأوزون، بدأ يأخذ مفعوله في تقليص حجم تلك الثقوب، ومن الممكن تلاشيها تدريجيا في غضون خمسين عاما لتزداد السماء زرقة من جديد ويحل التوازن والاستقرار وتصبح السماء أكثر رجعا وردا لكل ما هو ضار للنبات والحيوان والانسان.

الاوزون «يرجّع» الاشعاعات الضارة عن الأرض

* كلية العلوم الجامعة اللبنانية واستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في جامعة الجنان - طرابلس لبنان.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- Spectroscopie d'absorption intra cavité Laser de la molécule d'ozone. 160 page. – دار مكتبة الايمان بيروت ٢٠٠٦

٣- Spectrochimica acta A60 pp889 - 898 (2004)

وسخر لكم الشمس...معجزة جريانها

المهندس د. عبد الدائم الكحيل*

نرى في هذه الصورة على اليمين المسار الذي ترسمه الشمس خلال حركتها في المجرة، فهي تتم دورة كاملة كل ٢٥٠ مليون سنة، وتتم هزة كاملة للأعلى والأسفل كل ٦٠ مليون سنة تقريباً. على اليسار نرى المسار الذي ترسمه الخيول أثناء جريانها، ونلاحظ أنه يشبه إلى حد بعيد مسار الشمس، ولذلك فإن كلمة (تجري) دقيقة جداً من الناحية العلمية. المصدر (Nature)

أشياء كثيرة خلقها الله من أجلنا تعمل دون كلل أو ملل لخدمتنا ونحن لا نكاد نشعر فيها، ولذلك فإن الآيات الكونية التي أمرنا الله أن نتفكر فيها كثيرة، ومنها معجزة الشمس، فما هي حقيقة هذا المخلوق وكيف يعمل، وكيف يسهر على خدمتنا؟

إلهة تعبد من دون الله

الشمس لها تاريخ طويل في قصص الشعوب، فطالما اتخذها الإنسان إلهاً كان يخشاه ويعبده ويسجد له من دون الله، وربما تتذكر قصة سيدنا سليمان عليه السلام عندما ذهب ذلك الهدهد إلى مدينة سبأ ووجد أناساً يسجدون للشمس فعاد وقال: ﴿ *إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم* ﴾ [النمل: ٢٣-٢٥]. (...)

سخر الشمس أي كلفها عملاً بلا أجر

بقيت هذه الشمس رمزاً للآلهة طيلة قرون طويلة من الوثنية، وعندما نزل القرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي في القرن السابع الميلادي تناول هذه الشمس في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن. وكانت جميع الآيات عندما نتأملها علمياً نجد فيها التطابق الكامل بين الحقائق العلمية اليقينية وبين ما جاء به القرآن قبل أربعة عشر قرناً.

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(...) ثبت يقيناً أن المدار الذي تدوره

الشمس يختلف تماماً عن حركة الأرض حول الشمس، فلكل مخلوق فلكه الخاص الذي يسبح فيه، لذلك قال تبارك وتعالى: ﴿ *وكل في فلك يسبحون* ﴾ والعجيب أنني كنت أقرأ بحثاً لعلماء من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) فوجدتهم يستخدمون نفس الكلمة القرآنية وجدتهم يقولون: «إن رواد الفضاء عندما يخرجون خارج الغلاف الجوي خارج الأرض يحسون وكأنهم يسبحون في الفضاء». وسبحان الله بالفعل الشمس والقمر والكواكب والنجوم جميعها تسبح سباحة حقيقية لأنه لا يوجد فضاء في الكون إنما هنالك بناء محكم كل جزء من أجزاء الكون مشغول بالمادة والطاقة، ومن هنا ندرك عظمة هذا الكلام وأهداف هذا الكلام عندما قال تبارك وتعالى: ﴿ *لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون* ﴾ [يس: ٤٠].

الشمس كرة نارية ملتهبة تسبح في كون واسع، يبلغ قطرها مليون وثلاث مئة وتسعين ألف كيلو متر، ، وهي ثقيلة لدرجة أنها تزن أكثر من ٩٩,٨ بالمئة من وزن المجموعة الشمسية، ويبلغ وزنها ١,٩٩ بليون بليون بليون طن، أما الجاذبية على سطحها فتبلغ ٢٨ ضعف جاذبية الأرض، فإذا كان الإنسان يزن مئة كيلو غرام على الأرض فإنه لو قدّر له أن يعيش على الشمس فسوف يبلغ وزنه ٢٨٠٠ كيلو غرام أي وزن شاحنة!

قال تبارك وتعالى: ﴿ *وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى* ﴾ ماذا يعني قوله تعالى (لأجل مُسَمّى)؟ يعني أن حركة الشمس ستتوقف ذات يوم وحركة القمر كذلك. هذا الكلام لم يكن معروفاً عند ظهور الإسلام ولم يكن هناك أحد يعرف أن هنالك نهاية للشمس أو للقمر، بل كان الناس يعتقدون أن الكون وجد هكذا وسيستمر إلى ما لا نهاية، ولكن القرآن الكريم حدد لنا وظيفة كل مخلوق ونهايته ﴿ *ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام* ﴾ [الرحمن: ٢٧] فالله تبارك وتعالى ماذا قال: ﴿ *وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل* ﴾ [الرعد: ٢] أي لزمن محدد لوقت محدد ثم تستهلك هذه الشمس كل الوقود الموجود فيها وتتكور على نفسها وهذا يحدث يوم القيامة والله حدثنا يوم القيامة بقوله: ﴿ *إذا الشمس كورت* ﴾ [التكوير: ١]. وهنا ندرك دقة هذه الكلمات الرائعة.

وتبلغ درجة الحرارة على سطح الشمس ٥,٥٠٣,٨٥ درجة مئوية، وهي تدور حول نفسها مثل أرضنا، وتتم دورة كاملة كل ٢٥ يوماً عند خط الاستواء و٣٦ يوماً قرب القطبين، ولو دخلنا إلى باطنها وجدنا درجة الحرارة ترتفع لأكثر من ١٦ مليون درجة مئوية، والعجيب أن أرضنا تتوضع على مسافة ١٥٠ مليون كيلو متر (تبعد الشمس عنا ١٤٩,٥٩٧,٨٩٠ كيلو متر) وهي المسافة المناسبة جداً لنا نحن البشر!

طاقة الشمس في ثانية واحدة تكفي الناس مئة ألف عام

الشمس تهتز!

إذا تأملنا هذه الآيات نلاحظ أنها تطابق آخر ما وصل إليه العلماء، فعندما قال تبارك وتعالى: ﴿ *والشمس تجري* ﴾ شبه حركة الشمس بإنسان يجري، والجريان يكون عادة مثل إنسان يرتفع وينزل يعني حركة أشبه بالحركة الاهتزازية وهذا ما وجده العلماء يقيناً للشمس، وجدوا أن الشمس ليست ثابتة كما كان يعتقد من قبل، بل تتحرك بسرعة رهيبة وتسبح في هذه المجرة، وتدور حول مركز المجرة، ولها حركة ثانية باتجاه ما يسميه العلماء Solar Apex أي المستقر الشمسي، تتحرك باتجاه نقطة يسميها علماء

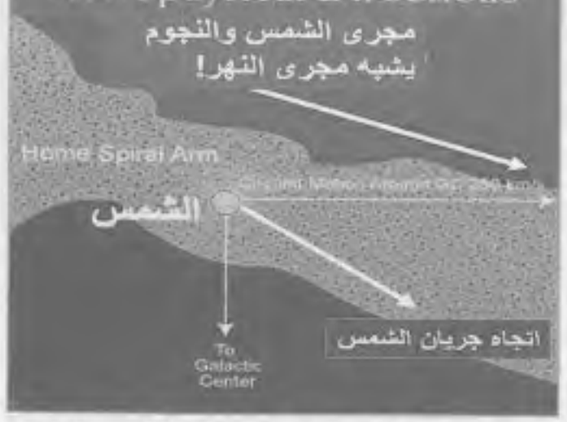

نرى في هذا الرسم كيف يعبر علماء الغرب عن حركة الشمس والنجوم، ويرسمونها ضمن مجرى يشبه مجرى النهر، ووجدوا أن حركة الشمس في هذا المجرى تشبه حركة الأمواج صعوداً وهبوطاً ولذلك يعبرون عن هذه الحركة بكلمة Stream أي تجري! وتأملوا معي كيف يعبر العلماء عن حركة هذه النجوم بالتدفق مثل الماء الذي يجري في النهر، وكيف أن القرآن سبقهم إلى هذا التعبير بشكل أدق، يقول تعالى: (وكل في فلك يسبحون) فسبحان الله! المصدر

Star Streaming, www.astrology.com

وكالة ناسا: المستقر، وغاب عنهم أن الله تبارك وتعالى قد أطلق هذا الاسم العلمي الدقيق على الشمس قبل أربعة عشر قرنا، ويقول تعالى: ﴿*والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ [يس: ٣٨]، إن الشمس تدور حول مركز مجرتنا دورة كاملة كل ٢٥٠ مليون سنة.

وجدوا أن هذه الشمس تتحرك حركة اهتزازية تشبه جريان الإنسان، ومدة الهزة الواحدة سبعين مليون سنة، فتأملوا معي أيها الأخوة دقة المصطلح القرآني، أو دقة التعبير القرآن، لأن المصطلح خاص بالبشر يتغير ويتبدل ولكن كلام الله تبارك وتعالى لا يتبدل أبداً، فعندما قال: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي) لم يقل تمر أو تسير، بل قال تجري ليؤكد أن هنالك حركة اهتزازية.

والشمس نجم مثل بقية النجوم تعمل منذ خمسة بلايين عام باستمرار! وهي جزء أساسي من حياتنا، فهي تسبب الليل والنهار، وتسبب النمو للنباتات وتؤمن الغذاء للإنسان والحيوان، وهي تمدنا بالوقود، بالطاقة والحرارة، وتسبب الفصول الأربعة، ولولاها لكانت الأرض كرة خربة متجمدة لا حياة فيها. إنها نجم من بين مئة ألف مليون نجم هو عدد نجوم مجرتنا (درب التبانة) وتتوضع الشمس على بعد ٢٥ ألف سنة ضوئية عن مركز المجرة.

الدورة المائية

إن الشمس التي تجري والتي سخرها الله تبارك وتعالى لنا لها بداية ولها نهاية محددة ولها عمل، فما هو عملها؟ يقول عز وجل في سورة النبأ: ﴿*وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا*﴾ [النبأ: ١٣-١٤] ومعنى (مَاءً ثَجَّاجاً) أي ماءً غزيراً عذباً. فالشمس هي التي تهيج الرياح، والرياح تسوق هذه الجزيئات من الماء (بخار الماء) إلى الطبقات العليا لتتكثف وتتشكل الغيوم وينزل المطر، ولذلك فإن الله تبارك وتعالى ربط بين الشمس وبين المعصرات وهي الغيوم (*وأنزلنا من المعصرات*) أي الغيوم الكثيفة، وبين نزول الماء الغزير (*ماء ثجاجا*) غزيرا عذبا.

والسؤال: لماذا ربط الله تبارك وتعالى بين السراج الوهاج وهو الشمس وبين نزول الماء من السماء؟ إن العلماء وجدوا حديثا أن هنالك دورة أسموها دورة الماء، هذه الدورة تقول بأن كمية الماء ثابتة على سطح الأرض وفي باطنها، ولكنها تتحول من شكل إلى آخر، فكل عام تتبخر ملايين الأطنان من البحار والمحيطات والأنهار تتبخر هذه المياه وتصعد إلى الجو ثم تتكثف وينزل المطر، وكل هذه العملية تحدث بفعل الشمس(راجع مجلة «الإعجاز» العدد الخامس، ربيع ٢٠٠٨م -١٤٢٩هـ، مقال للدكتور شاهر جمال أغا ص٦٦ بعنوان «ما من عام امطر من عام»)

أشعة الشمس تحول دون نخر العظام

سراج وهاج

إنها مصباح يستمد وقوده من الهيدروجين

الذي يندمج بعضه مع بعض بتفاعلات اندماجية ينتج عنها الضوء والحرارة. والقرآن يقول ﴿*تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا*﴾ [الفرقان: ٦١] وفي خطاب سيدنا نوح لقومه قال لهم: ﴿*ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا*﴾ [نوح: ١٥-١٦]. في هذه الآية نلاحظ أن القرآن ميز بين النور المنعكس عن القمر لأنه جسم بارد مهمته أن يعكس أشعة الشمس، بينما الشمس هي مصنع الطاقة.

كما يلفت الانتباه أن الله خص الشمس بصفة جديدة وهي (وَهَّاجاً) يعني هل يوجد سراج وهاج وسراج غير وهاج؟ نعم عندما درس العلماء النجوم في الكون وجدوا أن هنالك أنواع كثيرة للنجوم ووجدوا أن الشمس تعتبر في منتصف حياتها فهي قد خلقت قبل خمسة آلاف مليون عام تقريبا وسينتهي عملها بعد خمسة آلاف مليون عام تقريبا، والأرقام الحقيقية لا يعلمها إلا الله ولكن هذه أقوال ونتائج لقياسات العلماء، فالشمس هي الآن في قمة التوهج وفي منتصف عمرها (يعني في شبابها)، لذلك نجد علماء وكالة ناسا يستخدمون نفس الكلمة القرآنية في وصفهم للشمس فيقولون مثلا انها كرة ضخمة وهاجّة: The Sun is a huge glowing ball. بينما هنالك نجوم خافتة وهنالك نجوم تحولت إلى ثقوب سوداء ليس فيها أي وهج، وهنالك نجوم تحولت إلى غبار كوني ليس لها أي وهج، وهنا ندرك دقة القرآن الكريم، وكلما تأملنا هذا القرآن نرى في كل كلمة من كلماته معجزة تستحق التدبر.

فوائد عديدة للشمس

لو رجعنا إلى القاموس المحيط أو أي معجم من معاجم اللغة وبحثنا عن كلمة (سخر) نلاحظ أن معناها بدقة: كلفه عملاً بلا أجر. وهذا ما تقوم به الشمس فهي لملايين السنين تقدم لنا هذه الطاقة مجاناً دون مقابل.

هناك العديد من الخدمات التي تقدمها لنا الشمس، ومنها أننا عندما نتعرض لأشعة الشمس فإن هذه الأشعة تؤثر على خلايا جسدنا تأثيرا إيجابيا وتساهم في مساعدة هذه الخلايا على إنتاج فيتامين «دي» وهذا الفيتامين مهم جداً للإنسان. حتى إن العلماء اكتشفوا حديثا أنه يقي الإنسان من السرطان.

ومن الأمراض التي يبعدها التعرض للشمس باعتدال أمراض

الشمس مصدر الفيتامين «د» مضاد للسرطان

نخر العظام، ولذلك فإن الشمس تقدم لنا علاجاً مجانياً من دون أن نشعر، فهل عرفنا الآن قيمة هذه النعمة؟ وانظروا معي إلى هذه الآية: ﴿*وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار*﴾ [إبراهيم: ٣٣]. ففيها تفضل من الله علينا لنشكر هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، ولذلك قال في الآية التالية مباشرة: ﴿*وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار*﴾ [إبراهيم: ٣٤].

هذه الشمس الذي حدثنا الله تبارك وتعالى عنها في كتابه يقول العلماء إنها تبث كميات هائلة من الطاقة، ولو قدر للناس أن يستفيدوا من طاقة الشمس لمدة ثانية واحدة لكفتهم جميعاً لمدة مئة ألف سنة لتزويدهم بالطاقة بشكل كامل. فالله تبارك وتعالى سخر لنا هذه الشمس لتقدم لنا هذا العمل المجاني، ونحن نعلم اليوم أن الطاقة الشمسية هي مصدر مجاني (من دون مقابل) ومتوفر لكل الناس، لذلك ماذا قال الله تعالى؟ قال: ﴿*وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى*﴾ [الرعد: ٢].

أمواج صوتية من الشمس

وجد العلماء أن الشمس تطلق ترددات صوتية بشكل دائم أثناء عملها، وهذه الذبذبات ناتجة عن احتكاك ذرات الغاز أثناء احتراقه وتمدده وتقلصه، ولكن وبما أن الصوت لا ينتشر في الفضاء فإن هذا الصوت يعود ويرتد إلى قلب الشمس. وبما أن كل النجوم تطلق مثل هذه الترددات الصوتية لأن مبدأ عملها مشابه للشمس، وكذلك الشجر يطلق ترددات صوتية، وكل مخلوق حي يصدر من خلاياه مثل هذه الترددات، إذن كل شيء في هذا الكون يتكلم!!

وبالتالي يحق لنا كمؤمنين أن نفكر في هذه الأصوات ونتذكر قول الحق عن مخلوقاته: ﴿*ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب*﴾ [الحج: ١٨]. فهل يمكن أن تكون هذه الأصوات هي تسبيح وسجود لله تعالى ولكن بلغة هذه المخلوقات؟

هل الشمس تدور أم تجري؟

لنتأمل أولاً كيف عبر القرآن عن حركة الشمس، يقول تعالى: ﴿*والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ [يس: ٣٨]. والآن لنذهب إلى علماء الغرب أنفسهم والذين لم يؤمنوا

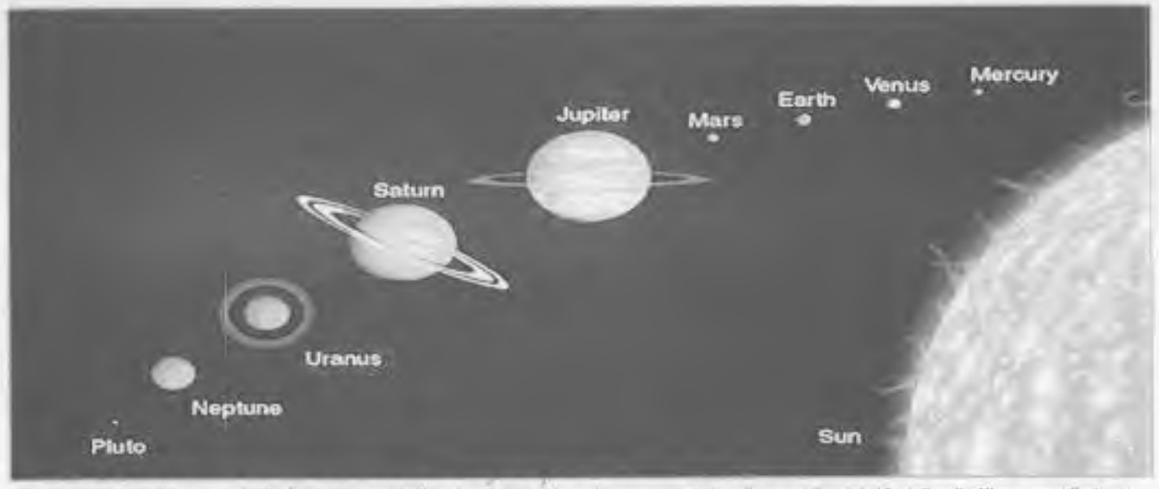

تتحرك الشمس مع الكواكب التابعة لها (مع الشمس والقمر) وتجري جميعها جرياناً حقيقياً حول مركز المجرة، ولذلك عبَّر القرآن عن هذه الحركة بقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ [لقمان: ٢٩].

بالقرآن، ماذا يقولون؟ إن ظاهرة حركة الشمس لفتت انتباه أحد العلماء ففكر أن يدرس المسار الحقيقي للشمس فيما لو نظرنا إليه من خارج المجرة، وبالطبع الشمس هي نجم في مجرتنا التي تحوي أكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نجم!!

إن حركة الشمس كانت لغزاً محيراً لآلاف السنين، فطالما نظر الناس إلى الأرض على أنها ثابتة وأن الشمس تدور حولها، ولكن تبين فيما بعد أن هذا الاعتقاد خاطئ، والسبب في ذلك هو ببساطة أن كتلة الشمس أكبر من كتلة الأرض بأكثر من مليون مرة، وبالتالي لا يمكن للأرض أن تجذب الشمس إليها بل العكس هو الصحيح.

فالشمس وبسبب كتلتها الكبيرة تجذب جميع الكواكب إليها تماماً كما تجذب الأرض القمر الذي هو أصغر من الأرض بكثير، ثم اعتقد العلماء أن الشمس ثابتة والأرض تدور حولها!

لكنهم اكتشفوا بعد ذلك أن هذه الشمس تنجذب باتجاه مركز مجرتنا (درب التبانة)، بل وتدور حوله بشكل دقيق ومحسوب بحيث تتراوح سرعة الشمس في دورانها حول مركز المجرة ٢٠٠-٢٥٠ كيلو متر في الثانية. فقالوا إن الشمس تدور حول مركز المجرة، وأخيراً وجدوا أن للشمس حركة أخرى صعوداً وهبوطاً، لقد أصبح الأمر أكثر تعقيداً.

قام العلماء بدراسة حركة الشمس (المجموعة الشمسية) لمعرفة المسار الدقيق الذي ترسمه الشمس أثناء دورانها حول مركز المجرة. وقد وجدوا أن الشمس لا تدور دورانا بل تجري جرياناً حقيقياً!! وأن جريانها يشبه جريان الخيل في حلبة السباق!

لقد وجد العلماء أن للشمس حركتين داخل المجرة: الأولى حركة دورانية حول مركز المجرة، والثانية حركة اهتزازية للأعلى وللأسفل، ولذلك فإن الشمس تبدو وكأنها تصعد وتنزل وتتقدم للأمام! وتتم الشمس دورة كاملة حول مركز المجرة خلال ٢٥٠ مليون سنة! ويستغرق صعود الشمس وهبوطها بحدود ٦٠ مليون سنة، وهكذا تصعد وتهبط وتتقدم مثل إنسان يجري.

أيها الأحبة لقد قمتُ بدراسة حركة جريان الخيول في السباق بهدف رؤية المسار الحقيقي لجريان هذه الخيول وقد وجدتُ أن المنحني الذي يرسمه الحصان في جريانه يتطابق مع ذلك المنحني الذي ترسمه الشمس في جريانها! هل هذه مصادفة!

الجريان باتجاه المستقر

لقد وجد العلماء بعد دراسات معمقة أن الشمس تجري باتجاه محدد أسموه مستقر الشمس أو solar apex ويعرفه الفلكيون كما يلي:

A point toward which the solar system is moving: it is about 10° southwest of the star Vega

الشمس «تجري» قفزا كالحصان

كواكبها) باتجاهها أي بزاوية تميل ١٠ درجات جنوب غرب نجم النسر بسرعة تقدر بحدود ١٩.٤ كيلو متر في الثانية. والمهم أن القرآن قد أشار إلى وجود مستقر ما للشمس في قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [يس: ٣٨].

جريان النجوم

من عجائب المقالات التي قرأتها مقالة بعنوان Star Streaming أي «جريان النجوم»، فقد وجد العلماء بعد دراسات طويلة أن النجوم بما فيها الشمس جميعها تتدفق بما يشبه النهر أو الجدول، ووجدتهم يستخدمون كلمة (يجري) أو Stream للتعبير عن حركة الشمس والنجوم، وهي الكلمة القرآنية ذاتها!!! ووجدتهم يستخدمون كلمة Rest أي المستقر وهي نفس الكلمة القرآنية أيضاً!!

المجرات تجري...

ولذلك فإن علماء الغرب اليوم وفي أحدث الأبحاث العلمية يشبهون حركة المجرات أيضاً بحركة الماء داخل مجرى النهر، بل إنهم عندما رسموا خريطة للكون وجدوا أن الكون عبارة عن «شبكة طرق» تتدفق خلالها المجرات بشكل بديع يشهد على عظمة الخالق عز وجل! ويصف أحد علماء ألمانيا وهو الدكتور ميلر حركة المجرات بأنها أشبه بسائل يتدفق Flow ويجري ضمن قنوات محددة، أليس القرآن يصف هذا المشهد بشكل أدق في قوله تعالى: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠]؟؟

لو تأملنا حركة السفن في البحر نجد أنها أيضاً تشكل مساراً اهتزازيا صعوداً وهبوطاً، طبعاً قمنا بتكبير المسار المبين في الشكل باللون الأصفر بهدف إيضاح الحركة فقط.

جريان السفينة

عبَّر القرآن عن حركة الفُلك في البحر بكلمة (تجري) وهي الكلمة ذاتها التي استعملها القرآن من أجل التعبير عن حركة الشمس، يقول تعالى: ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ [إبراهيم: ٣٢]. فهذه السفن والبواخر التي نراها في البحر هي من نعمة الله تعالى، وهي مسخرة بأمره، سخر الرياح وسخر الماء وسخر وسائل صناعة هذه السفن للإنسان من أجل السفر والتنقل وحمل المتاع.

وهنا نلاحظ أيضاً وجهاً إعجازياً يتجلى في كلمة (لِتَجْرِيَ) فلو تأملنا حركة السفن في البحر نلاحظ أنها تأخذ شكل الأمواج صعوداً وهبوطاً، وهنا نجد أن التعبير القرآني دقيق علمياً.

ولذلك فليس غريباً أن يعبر القرآن عن حركة الشمس بكلمة (تجري) لأن الله تعالى يحدثنا عن الحقائق.

فأية عظمة وأية نعمة حين يسخر الله تعالى جرمًا ضخمًا وخطيرًا كالشمس لحفظ الحياة على الأرض؟

قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

---

* للراغبين بمراجعة البحث كاملاً مراجعة الموقع:
www.kaheelv.com

الهوامش:

1- Estalella, Robert. Our Star (Barron, 1993)
2- Pecker, J.C. The Future of the Sun (McGraw, 1992).
3- Solar Apex. NASA
4- Galactic Drift and Mass Extinction. Astrophysical Journa
5- Rohde and Muller. "Cycles in fossil diversity." Nature 434 (10 March 2005), pp. 208210-
6- The Galactic Environment of the Sun. American Scientist. 1.2-2000.
7- The Sun. NASA.
8- Michael Erlewine. The Astrology of Space. www.astrology.com

الطبيعة تضج بأصوات النمل

إعداد فراس نور الحق*

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة التايمز البريطانية الشهيرة مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٦ نوفمبر ٢٠٠٩ "Hills are alive with the sound of ants - talking to each other" وترجمته (التلال حية بأصوات النمل وهي تتحدث مع بعضها البعض).

يتحدث المقال عن اكتشافات علمية جديدة عن خاصية التخاطب وتبادل الحديث في مملكة النمل... ويذكر المقال أن الاكتشافات الحديثة قد بينت أن لغة التخاطب عند النمل متطورة ومتقدمة على نحو كبير أكبر مما كان يعتقد قبل ذلك. وأشار المقال إلى أن التطور الحديث في مجال التكنولوجيا الصوتية قد مكّن العلماء من اكتشاف أن النمل يتحدث مع بعضه البعض بصورة دورية... وأوضح أنه من خلال وضع ميكروفونات وسماعات دقيقة في أعشاش النمل تمكن الباحثون من إثبات أن الملكة تصدر الأوامر للعمال...

ونقل المقال تعليقًا للبروفيسير جيرمي توماس من جامعة إكسفورد (Professor Jeremy Thomas, of the University of Oxford) ذكر فيه أنه من خلال تسجيل أصوات الملكة وهي تصدر الأوامر للعمال وإعادة بث هذه الأصوات المسجلة بواسطة سماعات دقيقة جدًا داخل الأعشاش تبين وجود ردود أفعال منتظمة تصدر من باقي النمل تتمثل في إبراز قرون الاستشعار ورفع الفك والتأهب للهجوم ضد أي أخطار قادمة... وأضاف أن أهم ما تم اكتشافه هو أن الأصوات المختلفة تجعل النمل يقوم بردود فعل مختلفة أيضا طبقًا لكل صوت...

عالم منضبط

ونقل المقال أيضا تعليقا للباحثة فرانسيسكا باربرو من جامعة تورين Francesca Barbero, of the University of Turin (ذكرت فيه أن الاكتشافات الحديثة قد أثبتت أن ما قد قيل قبل ذلك عن عدم وجود دور للتخاطب في تبادل المعرفة بداخل مملكة النمل كان غير صحيح)...

الإعجاز العلمي في القرآن:

قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة النمل: ﴿*وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين* [١٦] *وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون* [١٧] *حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* [١٨] *فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين* [١٩]﴾.

أمم أمثالكم

وقد أثبت المفسرون نطق النمل (على غرابته في زمانهم) ورجحوا ان النملة

الناطقة هي انثى (لعلها هي ملكة النمل) وأنكروا على من يجنح إلى الاستعارة التمثيلية لنفي قول النمل صوتيا. لقد اخبر القران الكريم عن مخاطبة نملة صوتياً معشر النمل بقوله ﴿*قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم*﴾ وتحذيرهم ان تدوسهم اقدام نبي الله سليمان وجنوده واعتذرت عن سليمان بقولها ﴿*لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون*﴾ فلو شعروا بهم لم يحطموهم وهذا اثبات من القران ان امة النمل لديهم عقول وإدارك بما حولهم ويتواصلون مع بعضهم صوتيا، وهذا ما اثبته الاكتشاف الأخير كما فصلنا.

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿*وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم...*[٣٨]﴾.

وقفة تأمل:

إلى المشككين في صدق نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وفي الكلام الذي أوحى الله به إليه... أليس الاخبار عن كلام النمل صوتيا قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة لدليل دامغ على صدقه صلى الله عليه وسلم؟! من اين علم بهذا ومن علمه؟

قال الله تعالى: ﴿*قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما*﴾ (الفرقان:٦). وقال تعالى: ﴿*فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون*﴾ (هود: ١٤).

"Hills are alive with the sound of ants – talking to each other"

(Using miniaturized microphones and speakers that can be inserted unobtrusively into nests, researchers established that the queens can issue instructions to their workers.

The astonished researchers, who managed to make the first recordings of queen ants "speaking", also discovered that other insects can mimic the ants to make them slaves.)

(Professor Jeremy Thomas, of the University of Oxford, said improvements in technology had made the discoveries possible because it meant the ants could be recorded and subjected to playbacks without becoming alarmed.

By placing miniature speakers into the nest and playing back sounds made by a queen, the researchers were able to persuade ants to stand to attention.

"When we played the queen sounds they did 'en garde' behavior. They would stand motionless with their antennae held out and their jaws apart for hours – the moment anyone goes near they will attack," he said.

He described how the ants would press their antennae to the speaker just as they would seek to greet another ant in the nest.)

And Francesca Barbero, of the University of Turin said: ("The most important discovery is that within the ant colony different sounds can provoke different reactions.)

Allah said in the holy Koran in sura Al-Naml: ﴿And Solomon was David's heir. And he said: O mankind! Lo! we have been taught the language of birds, and have been given (abundance) of all things. This surely is evident favour. [16] And there were gathered together unto Solomon his armies of the jinn and humankind, and of the birds, and they were set in battle order: [17] Till, when they reached the Valley of the Ants, an ant exclaimed: O ants! Enter your dwellings lest Solomon and his armies crush you, unperceiving. [18] And (Solomon) smiled, laughing at her speech, and said: My Lord, arouse me to be thankful for Thy favour wherewith Thou hast favoured me and my parents, and to do good that shall be pleasing unto Thee, and include me in (the number of) Thy righteous slaves. [19]﴾

And in Al-Anaam He said: ﴿There is not an animal in the earth, nor a flying creature flying on two wings, but they are peoples like unto you...[38]﴾

* مدير موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.55a.net

IS THE QURAN AN UNSTRUCTURED BOOK?

*Dr. Mustansir Mir**

One of the long-standing objections leveled against the Quran by its non-Muslim critics is that it appears to have no regular form or structure. It is said that its verses follow one another with little sense of interconnection and its surahs seem to have been arranged in a sequence based on the crude principle of diminishing length, the longest coming first and the shortest going to the end. Almost every surah, it is complained, is riddled with unsettling shifts of scene, address, and subject and one cannot with any amount of certainty predict what is going to come next. It is concluded that the Quran is, at best, a remarkable compilation of unrelated passages, or a book of quotations. That though it is full of pearls, the pearls are lying in a promiscuous heap.

The actual words used by those who have raised this objection are much more stern and caustic. We will not quote them, partly because they may be found in any book written on the Quran by any critic of Islam and partly because their pungency does not add to the gravity of the objection. We shall only note that new as well as old orientalists have made the point often and that for all the difference in their approaches to the Quran, they are all agreed that the Quran completely lacks anything of the kind of orderly arrangement. Some of them have actually tried to rearrange the Quran either chronologically or according to some other self-devised principle.

The response of Muslim scholars to this objection has been, generally, concessive. They grant that the Quran does not have the arrangement of a well-planned book, but then, they say, it was never meant to have one. The revelation of the Quran, they point out, was completed in twenty-three years and during that period the Quran dwelt on such a large number of diverse subjects that no act of compilation could have given it greater unity and coherence than that it now possesses. The Quran, they say, dealt with the lives, activities, and problems of a whole nation for a long span of time and so any objection based on the concept of a research thesis is bound to be misplaced.

This reply, though it has almost always served to satisfy Muslims and at least silence non-Muslim critics, fails to take one very important fact into consideration, that of the arranging of the Quran, by the Prophet. At the same time that it was being revealed, the Quran was being rearranged in a certain form, under direct divine guidance, by the Prophet. The completion of the arrangement of the Quran was conterminous in time with the completion of its revelation. In respect of order and sequence, therefore, the Quran as it was compiled was different from the Quran as it was revealed. In other words, the Quran had two arrangements, one revelatory and the other compilatory. The question is why the revelatory arrangement was abandoned in favor of a compilatory arrangement. Was the latter adopted without any special reason? If so, why was chronology not considered a sound enough basis for arranging the Quran? And is one today at liberty to discover, if possible, the chronological arrangement of the Quran and recite the Quran according to that arrangement? Or, if chronology was not an acceptable guide, why was not some rule, that for example of dividing the Quran into surahs of about equal length, employed. Nor does the principle of the progressive diminution of the size of surahs go very far because the diminution is not so progressive: We frequently find that long surahs are followed by shorter surahs which are again followed by long surahs and so on. The question continues to stare one in the face: Why a different arrangement?

Imam Hamid al-din Farahi (India, d: 1930) gives another answer to the objection. He maintains that the Quran has a superb structure. The verses and surahs of the Quran, he says, are arranged in an impeccable order that together form a whole which has remarkable integration and symmetry. And beautiful as that structure is, adds Imam Farahi, it is not merely of incidental value; it is essential to the meaning of the Quran, nay, it is the only key there is to the meaning of the Quran. (…)

Each Quranic surah has a dominant idea, called the axis of that surah, around which all the verses of that surah revolve. Thus no verse, or no group of verses, stands alone but has a direct relation with the axis of the surah and is part of the coherent scheme of the surah. (…) Each group of surahs logically leads to the next, and thus all the groups become variations on the basic theme of the Quran, which is: <Allah>s call to man to adopt the right path>.

While speaking of coherence in the structure of the Quran, we must distinguish between connectedness and organic unity. A connection, howsoever weird and far-fetched, can be established between any two objects of the universe. But organic unity implies the presence of a harmonious interrelationship between the components of a body or entity which produces a unified whole, a whole which is over and above the sum total or the components of and has worth and meaning in itself. The verses and surahs of the Quran are not simply linked up with one another; they have their place, each one of them, in the total scheme of the Quran and are related not only to one another but also to that total framework. The Quran is an organism, of which its verses and surahs are organically coherent parts.

Another point to be taken note of is that, as hinted above, the methodical nature of the Quran is not just an incidental matter in the study of the Quran, it is integral to the meaning of the Quran. In plain terms, since the Quran has an organic structure, every verse or group of verses and every surah has a definitive context and interpretation of any portion of the Quran must be based on a correct understanding of that context.

It is unfortunate how some people misuse the Quran. Too often its verses have been torn out of context to prove some particular juristical opinion or sectarian notion. Frequently its terms and phrases have been misconstrued by those who come to it seeking, in some odd verse, support for views they have already formed on other than Quranic grounds. It is indeed a great irony that all heresies have been claimed by their propounders to have their basis in the Quran. And if these heresies looked plausible to many, it was because the context of the verses constituting the so-called <basis in the Quran> was not properly understood. (…) Contextualization gives to countless verses a construction different from the one usually placed on them; it throws new light not only on the doctrinal and creedal aspects of the Quranic message but also on the methodological aspects of the message; it lends new significance not only to the moral and legal injunctions of the Quran but also to the stories and parables narrated by the Quran; and it affords a deep insight not only into the continually changing style and tone of the Quran but also into the varied patterns of logic it employs.

---

* Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com

الحليم حيران

محمد فرشوخ

ما أن جلس الحكيم وجلس طلابه حتى بادر بوجهه البشوش قائلاً: هيه، هاتوا ما عندكم. وهي عادته عندما يريد أن يخرج عن المنهاج المقرر، فاتحاً باب الاسئلة لكي يكشف الطلاب عما يجيش في نفوسهم وما يختلج في صدورهم. ليزيلوا بعض الشك والكثير من القلق. اذ الدين الحق هو الذي يستطيع أن يجد الحلول ويعالج الأزمات.

رفع احدنا يده وقال: قرأت في حديث شريف أن زمانًا يأتي على الناس يجعل فيه الحليم حيرانًا. فما المقصود بذلك؟ وهل بلغنا هذا الزمان؟

علت الحكيم ابتسامة رضى، تلتها قسمات جدية وكأن حدثًا ما قد طرأ خلال الجلسة، وقال: تعالوا ننطلق في الاجابة من الحديث الشريف نفسه، يا أبنائي اذا أدرنا ظهورنا للقوانين والأحكام التي شرعها لنا خالق الخلق ومالك الملك وهو بنا أعلم وأرحم واحكم ثم طفقنا نبحث عن حلول أخرى من تجارب أمم وأقوام وأشخاص خرجوا بنظريات عديدة يناقض بعضها بعضًا، ويسفه بعضهم بعضا، ثم تمر الأيام لتثبت خطأ هذا وزلل ذاك وها أنتم ترون بأم العين اتحاد دول في الشرق يتفكك ودولة كبيرة في الغرب تمر بأزمة اقتصادية جرّت على مواطنيها وعلى العالم خسائر وويلات وأزمات. ولئن نظرتم إلى بلادنا العربية والاسلامية لوجدتم عجزًا عن معالجة الأمور الأساسية، كالفقر والأمن والأمية وشتى ميادين التنمية على الرغم من اتساع المساحات ووفرة الثروات الطبيعية وتوفر الطاقات الفردية المتفوقة. يقول الكاتب الايرلندي الشهير جورج برنارد شو: «لو تولى العالم الأوروبي رجل مثل محمد لشفاه من علله كافة».

فالنمو والانماء لا يكونان الا ضمن نظام اقتصادي واجتماعي وفكري ومدني متكامل ومتكافل. ومع ذلك فأغلب أهل الحل والربط لا يرون في تطبيق أحكام الشرع حلا لمشاكلهم وأزماتهم

والله تعالى يقول لنا: ﴿ *ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون* ﴾.

مثلنا كمثل الذي اشترى سيارة حديثة متطورة وقرر أن يقودها على طريقته المعتادة دون أن يتقيد بتعليمات الشركة الصانعة، فاذا به بعد أن أساء استعمالها يتهم الصانع بعدم الدراية وعدم الاتقان.

ونحن ﴿ *صنع الله الذي اتقن كل شيء* ﴾ نريد ان ندير هذا الكون بطرق معتادة وجربنا كل الطرق الا الطريقة التي نصحنا بها خالق الخلق ومالك الملك. وأسألكم: لو كان أحدكم هو المهندس الذي صمم السيارة ورأى من صاحبها تفريطا واستهانة هل كان يقره على جهله أم يربكه وينبهه حتى يعود إلى رشده ويتقيد بتعليمات الصانع؟

فاذا اصبح الحليم حيرانا فلأن السبل قد سدت في وجهه وإذا كان هذا هو حال الحليم فكيف حال الذين من دونه؟

فرصة العودة إلى التعليمات متاحة دائمًا ونعني بها التوبة وازالة المنكرات واتباع الصراط المستقيم وتطبيق الاحكام والمعاملات وليس فقط العبادات. لكن هل يتسع عمر الفرد الواحد لتصحيح الخلل، الحقيقة أن على جيل من الأجيال أن يبدأ بالتقويم الهادئ العاقل وان يترك الأمر بعد ذلك لصاحب الأمر، بما يسرّع الحلول ويعجل في الانقاذ.

نظرية واحد زائد واحد صحيحة سليمة إلا في المعتقد فاداء الزكاة يثبت أن أربعين ناقص واحد قد تعود على المزكي بأضعاف المبالغ التي انفقها فما نقص مال من صدقة.

وكذلك فان التقيد بما أمر خالق الخلق ومالك الملك قد يؤدي إلى ان يقف الكون كله مع الصادقين وفي ذلك يقول الشاعر: ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال.

وختم الحكيم الجلسة بالآيتين الكريمتين:

﴿ *إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم* ﴾،

﴿ *ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز* ﴾.

إنجازاتنا السابقة، تخطّيناها ...

المصرف الإسلامي المتكامل

وما زلنا بتحدي مع أنفسنا.

بالرغم من الأوضاع المحلّية غير المستقرة التي مرّت والأزمة المالية التي تجتاح العالم، فقد سجلّنا في سنة ٢٠٠٨ نسب نمو مرتفعة وهذا يعكس آثار استراتيجيتنا الإستثمارية. كما ويظهر الثقة الكبيرة التي كسبناها في وقت قياسي.

٥٣٪ زيادة في صافي الأرباح عن أرباح العام السابق.
٣٢٪ زيادة في إجمالي الموجودات بما فيها حسابات خارج الميزانية.
١٧٢٪ زيادة في عمليات تمويل الزبائن.
٨٩٪ زيادة في إجمالي ودائع واستثمارات الزبائن.

لمزيد من المعلومات الإتصال بالإدارة العامة على الرقم ١٢٨٦
أو زيارة موقعنا الإلكتروني www.afh.com.lb

للسنة الثانية على التوالي
جائزة غلوبال فاينانس
لأفضل مؤسسة مالية إسلامية في لبنان

بيت التمويل العربي ش.م.ل (مصرف إسلامي)

نواكب التطوّر ونلتزم الأصول

الإعجاز
علمية - دينية - فصلية - تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان
بيروت، لبنان- جادة الراشدين - تقاطع بسترس الصنائع سنتر مونتي مارينا-بلوك C ط٣
هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ - فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+ - بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com

MAZRAA خلص الأجرة لبنان LIBAN P.P.
ب. ٣٧١ P. 371